

ذو القعدة ١٤١٤هـ - ابريل - مايو ١٩٩٤م

متنزه «ورمبنجل» الأسترالي

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

The Caravan

العدد الحادي عشر - المجلد الثاني والأربعون

APRIL – MAY 1994 | ISSN 1319 - 0547 ردمــد | ذو القعدة ١٤١٤ هـ

في هذا العدد :

الإنسان والبيئة
بقلم : محمد غياث الأشرف
١٢





١٥
الملاريا من أخطر أمراض البلدان الحارة
بقلم : د. غالب خلايلي

الأطباق الطائرة ... حقيقة أو خيال؟
بقلم: محمد علي بن كامل
٣٣



اصلاح مناهج التعليم
بقلم : الشيخ حمد الجاسر
١

سادخل في الناي كي تذكريني (قصيدة)
شعر : محمد علي شمس الدين
٥

الطحالب البحرية فوائد لاتحصى
بقلم : درويش ابراهيم يوسف
٦

نظرية "أولمان" عن المخ البشري
بقلم : د. محمد نبهان سويلم
٩

كتب مهداة
١٩

أسئلة الشاعر القديم وحكمة الحياة
بقلم : محمد إبراهيم أبو سنة
٢٠

متنزه "ورمبنجل" الأسترالي
إستطلاع : أحمد إبراهيم البوق
٢٤

وليم غولدنغ والرواية الأخلاقية
بقلم : ياسين طه حافظ
٣٠

النقد الأدبي والمعضلة الأفلاطونية (٢)
بقلم : د. صبري حافظ
٣٨

قمر الذكرى (قصيدة)
شعر : د. حسن فتح الباب
٤٣

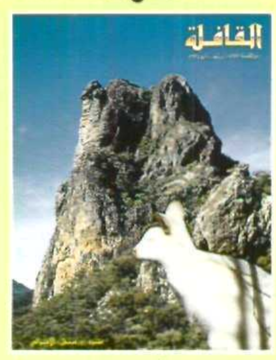
رأي حول تدريس التاريخ في الجامعة
بقلم : د. غيثان علي جريس
٤٤

صفحة في اللغة
بقلم : د. زيان أحمد الحاج
٤٨

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
- كل ماينشر في القافلة يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولايعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- لايجوز نشر الموضوعات والصور التي تظهر في القافلة إلا بإذن خطي من هيئة التحرير.
- لاتقبل القافلة إلا أصول الموضوعات التي لم يسبق نشرها.

العنوان :
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية
هاتف : ٨٧٥٦٣٩٢ - ٨٧٤٠٧٠٦
فاكس : ٨٧٣٨٤٩٠

الغلاف



تصوير : أحمد إبراهيم البوق

مجلة ثقافية تصدر شهرياً عن إدارة العلاقات العامة في شركة ارامكو السعودية لموظفيها ـ توزع مجاناً

تصميم وطباعة مطابع التريكي - الدمام
Designed and Printed by Altraiki Printing Press, Dammam

إصلاح مناهج التعليم

بقلم علامة الجزيرة : الشيخ حمد الجاسر - الرياض

لعل من أهم ما لفت نظري في صحافتنا في الآونة الأخيرة قلة اعتنائها ببعض ما تقرره الدولة من أمور مهمة، ومن ذلك ما قرره مجلس الوزراء يوم الاثنين ثالث جمادى الأولى ١٤١٤هـ من الاتجاه نحو دراسة مناهج التعليم بغية اصلاحها، فقد نشرت الصحف الصادرة يوم الثلاثاء رابع الشهر المذكور عن مجلس الوزراء ان خادم الحرمين الشريفين امر بتغيير مناهج التعليم خلال الاجتماع، وانه حفظه الله شدد على ضرورة اعادة النظر في المناهج التعليمية السعودية، بحيث يتعرف الطالب منذ المراحل الأولى للتعليم وبعد البنية الاسلامية الاساسية إلى كل ما يتعلق بوطنه مثل النواحي الاسلامية والتاريخية والجغرافية، الطبيعية منها والسياسية، بالاضافة إلى الشؤون الاقتصادية بصفة عامة، ليكون الطالب بعد التحصيل ملما الماما وافيا بكل الجوانب المهمة عن بلاده، ومن ثم ينتقل إلى المراحل الاخرى، متدرجا في سلم المستويات العلمية، حتى يتخرج مؤهلا لخدمة دينه ووطنه بالمستوى المطلوب، وان الملك - وفقه الله - بعد تداول الآراء من قبل الوزراء المختصين في شؤون التعليم، وجه وزير التعليم العالي واللجنة الوزارية باستكمال الاجراءات التي تناولها البحث، وعرض الموضوع في الجلسات المقبلة .



أرامكو السعودية

ولا شك ان كل معنيّ بالشؤون الثقافية بل بجميع احوال الأمة رأي في هذا الاتجاه الحميد، ما هو جدير بأن يقابل بالاهتمام، وان ينظر إليه نظرة تطلع بتفاؤل واستبشار، لتعلقه بأهم قاعدة اساسية تقوم عليها حياة الأمة .

وبعد نشر ذلك لم ار احداً في صحفنا على تعددها، وكثرة المتجهين للكتابة فيها، وفيهم صفوة ممتازة من رجال التعليم، حاول تناول الموضوع بالدراسة. لايضاح ما يراه جديرا بأن يهتم به في سبيل الإصلاح المنشود .

فالدولة قد اولت التعليم بصفة عامة من عنايتها بتعميم المدارس والمعاهد، وانشاء الجامعات بدرجة ليس من المبالغة القول بأنها عمّت جميع المناطق، واضافت إلى ذلك منذ سنة ١٣٨٠هـ انشاء المدارس لتعليم الفتيات، وايجاد الكليات لدراساتهن العالية .

ومن المعروف ان الدولة قامت اول ما قامت، وستبقى على ما قامت عليه، على

اساس ديني، هو نشر الدعوة الاصلاحية للرجوع بالمسلمين إلى ما كان عليه المصطفى عليه الصلاة والسلام، واصحابه، من اخلاص العبادة لله وحده، ونبذ البدع والخرافات، والتقيد بأحكام الشرع المطهر، كما وردت في الكتاب الكريم وفي سنة المصطفى ﷺ قولا وعملا، وما اجمع عليه سلف الأمة في قرونها الثلاثة الأولى المفضلة .

وعلى تلك الأسس قامت مناهج التعليم في المملكة، منذ قيامها فكانت المادة الدينية في تلك المناهج هي الاساس ، وما عداها يعدّ تكميلا لها .

وبعد انشاء الجامعات خصصت اثنتان منها، هما الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة وجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في الرياض، للقيام بجميع الشؤون الدينية مما يتعلق بترسيخ العقيدة ونشرها .

توجيه المجتمع، وجهة تمكنه من أن يحيا حياة قوة وعزة وسعادة، بما لأبنائه من آثار في ذلك ، بتنوع معارفهم ومقدرتهم على مسايرة التقدم الحضاري بما استفادوا من

ومحبوب عند خلقه لاهتمامه بما يصلح احوالهم، واحب الخلق إلى الله انفعهم لعباده، كما في الأثر .

ولئن كانت مناهج التعليم في بلادنا



وانشئت خمس جامعات في كل من مكة المكرمة وجدة والرياض والظهران والدمام . وتكاثر اقبال الطلاب على الالتحاق بكل الجامعات السبع، بالاضافة إلى اعداد كبيرة من المبتعثين منهم للدراسة العالية في خارج البلاد، ومن بينهم من تبعثهم الجامعات للتخصص في بعض العلوم، فيمنحون شهادات عالية، ليتولوا التدريس في كليات الجامعات .

من هنا يتضح ان بلادنا من حيث اعداد جميع وسائل التعليم اصبحت على درجة من الكفاية، وبقي التساؤل عن آثاره في حياة الأمة، وعمّا لتلك الجامعات من أثر في

معارف، وتجارب هي نتيجة لما نالوه من فنون المعرفة المتنوعة .

لا احد يماري في أننا امة هي ، وإن كانت مطالبة بأن تبني حياتها الروحية على أسس من دينها القويم، فهي لا تتمكن من هذه الحياة ما لم تكن متدرعة بأقوى الوسائل التي تحميها، وتمكنها من البقاء، ولن يتمّ لها ذلك الا باستكمال جميع وسائل الحياة المادية الحاضرة، مما لا يتعارض مع تعاليم الدين الحنيف، فهذا الدين ليس دين رهبنة وعزلة وتخل عن الدنيا، انه دين عمل، ودين قوة، ودين تآزر وتناصر وتعاون على الخير، والمؤمن القوي محبوب عند الله،

وضعت أول ما وضعت لتثبيت العقيدة الاسلامية، في وقت كان اعداء الدعوة الاصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمؤازرة الدولة السعودية الأولى، يتصدون للنيل منها، إلا أن ما بذله الأئمة المصلحون من ملوك تلك الدولة من ترسيخ قواعد الدين الاسلامي الحنيف، قد ازال كل ما كان يحاذر منه من عداء، حتى رسخت في النفوس، وانتشرت في العالم، واتضحت مناهج الحق لمن اراد سلوكه .

ومن هنا تتضح شدة الحاجة لتغيير تلك المناهج، لتحقق مع تلك الغاية السامية ما تتطلع إليه الأمة من تقدم ورقي

فـي حياتهـا المادية .

ومن المعــروف ان الغــايـــة من التعليم العــالي : «ســد حاجـات المجتمع في حـاضره ومستقبلـه، بما يسـاير التطـور المرغـوب، الـذي يحقق الأهداف والغـايـات المطلوبـة، ورعـايـة ذوي الكفـايــة والنبـوغ، وتنميـة مواهبهم، واثراء المجتمع، لكـون العلم طريق اليوم، وطريق الغد» [١] .

وحاجات المجتمـع في حاضره ومستقبله اولاها ما يهيء لـه حياة عزة وكرامـة، وعدم احتيـاج إلى ان يكـون عـالـة على غيره في اي شأن من شـؤونـه العـامـة، مع ايجاد جميع الــوسـائل التي تحفظ كيــانـه، وتحميــه وتحوطــه من تحديـات هـــذا العصر، التي قويت واستشرست بما اخترع فيه من ادوات القهر والغلبة المختلفة، ولا يستثنى من ذلك ما قـد يتصف به اعداء الاسـلام من محاولة النيل منه بمختلف الطرق .

ومن هنا تبدو الحاجـة إلى العناية بهذا الجانـب من حـياة الأمة .

لست من ذوي الاختصــــاص بشـــؤون التربيـة والتعليم، وان كنت مـارست جانبـا منهـا اكثر من ثـلاثين عـاما، منـذ ان عينت مدرسا في مدرسة ينبع سنة ١٣٥٤هـ، اي منذ ان كـانت الغايـة من التعليم يـراد منها ترسيخ العقيدة الاسلامية الصحيحة في اول نشـأتها، حتى انشئـت الكليــــات التـي اصبحت فيما بعد جـامعات، فتغيرت النظرة إلى تلك الغـاية بـانشـائهـا، وهو تغير كـان ينبغي ان يكــــون ذا اثـــر عميـق في وضع مناهجها، الا ان واضعي تلك المنـاهج تأثروا في ذلك بما اعـد في اول عهد انشـاء المدارس الحديثـة، ليكون قـاعـدة اساسيـة للتعليم، وهـذا في واقع الأمـر مما ينبغي الأخـذ بـه، ولكن مع ملاحظة اعتبارات اخرى مثل :

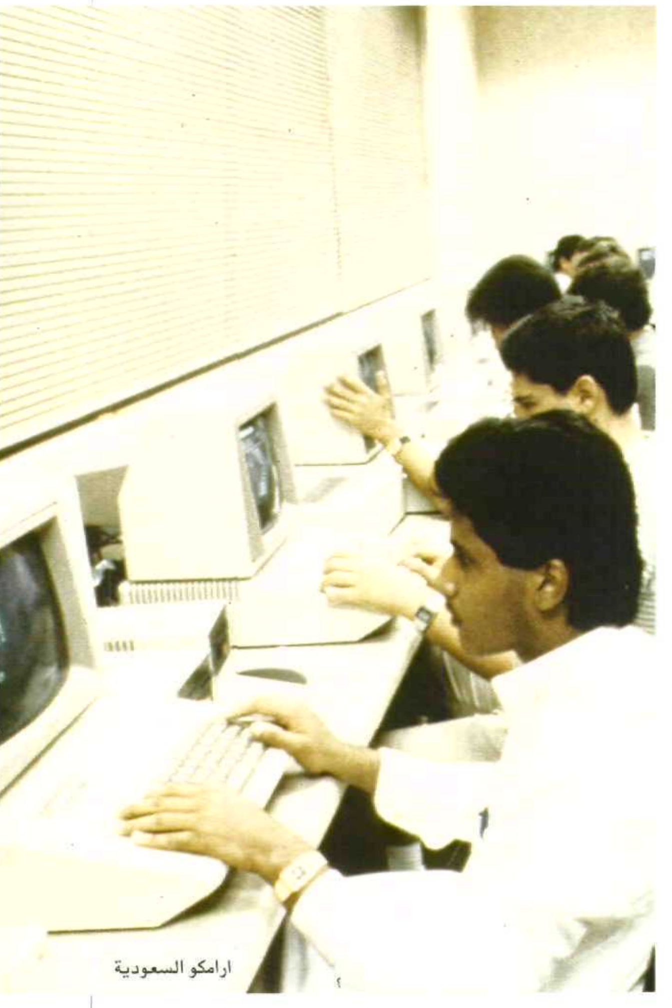
- تعــدد مـراحل التعليـم حتى بلغ اعلى مستوى

-تغير تحديـات العصر بعــد تثبيت العقيـدة الاسلاميـة الصحيحـة وانتشـارهـا في جميع الاقطـــار فأصبحت الحاجـة إلى تغيير منــاهج التعليم الدينـي ليتلاءم مع الــوقـــوف امــــام تلك التحـــديــــات الحديثـــة المتجـددة بتجـدد الحيـاة المعاصرة .

- مـراعـاة متطلبــات حيـاة الأمـة لتبقى قـويـة قـادرة على حفظ كيانها، وذلـك ما انشئت الجامعـــات للقيـام بـه، وينبغي ان ينظر إليهـا عنـــد وضع منــاهج هـــذه الجامعات، لكـونها من اولى مــا يعتنى بـه، إذ عليهـــا تبنى حيـــاة الأمــــة التي بقـوتها تستطيـع الحفـاظ على كيانها ومكانتها .

- ان الـدولـة اولت الجانـب الـديني من التعليم مـا هـو جـديـر بـه، فخصصت جـامعتين من الجامعات السبع للعلـوم الدينية بمختلف فروعها .

وعلى تلك الأسس تنبنـي النظـــرة التي تحتم اصـــلاح منـاهـج التعليم، ومن المدرك بـداهة ان التعليم في مـراحلـه الأولى ينبغي ان تتركز مناهجه على ترسيخ قواعد التربية الـدينية والخلقيـة والـوطنية، ويـلاحظ في هذه المنـاهج ان تكون على درجة من مـراعاة تبسيط المعلـومـات، وتسهيل تلقيهـا، فـلا تحشى ادمغـة التـلاميـذ بحفظ النصـوص


ارامكو السعودية

التي لا يفهم لها معنـى، بـــل يكتفــي من الحفـــظ بأقــل قـــدر مطلـوب، بما بـه تستقيم القواعـد الدينيــــة، بعـد تفهيـــم معانيهـا تفهيما تـاما، وهـذه هي الطـريقة التي سـار عليهـا المسلمـون فـــي الصـدر الأول فـــي تعــليـم الديــــن، بقـــول الصحابـــي الجليل «مـاكان احـدنـا يتعلم عشر ايـات حتى يعــرف معانيهن» .


ارامكو السعودية

ثم تأتي مرحلة التعليم الثانوي، ويلاحظ فيه الآن : انه ذو شعبتين احداهما : المدارس الثانوية التابعة لوزارة المعارف، والثانية : المعاهد الدينية التابعة لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، وتختلف مناهج الشعبتين، فبينما تعنى الأولى بما يعد الطالب ويؤهله للالتحاق بمختلف الجامعات، تهتم الشعبة الثانية بتدريس العلوم الدينية، ليتأهل الطالب للالتحاق بالجامعة التي ترتبط بها تلك الشعبة، او بجامعة مماثلة لها .

وهذا التنوع في المناهج قد يكون له ما يبرره، مما لا حاجة إلى تفصيله، ولكنه بدون شك بحاجة إلى دراسة مناهجه، مع ملاحظة الوسائل التي قد تجتذب بعض الطلاب إلى احدى الشعبتين اجتذابا يكون له اثر في مستقبل دراستهم، فانشاء المعاهد في كثير من مناطق المملكة النائية عن القاعدة، التي ما تزال كثير من وسائل الحياة فيها بطيئة التغير، قد يؤثر في مستقبل تلك المناطق، لاتجاه ابنائها إلى نوع خاص من التعليم، وقد يكون من الأولى توجيههم إلى نوع اخر، بعد ان قطعوا من التعليم مرحلة مكنتهم من ترسيخ العقيدة في نفوسهم كغيرهم من مختلف الطلاب، واصبحت الحاجة إلى توجيههم وجهة اخرى، قد تكون اجدى بالنسبة لاستفادتهم، وانفع في مستقبلهم لخدمة امتهم وبلادهم .

ثم يأتي الحديث عن مناهج التعليم العالي في مختلف الجامعات، وان لم اكن من ذوي الاختصاص في هذا الجانب، الا ان مما لاحظته شدة الاقبال على الكليات النظرية في جامعاتنا، وكثرة المتخرجين منها، وهنا يأتي التساؤل : هل هذا الجيش العرمرم من متخرجي الكليات النظرية يحقق الغاية من انشاء الجامعة، التي هي مرحلة التخصص العلمي في مختلف انواعه ومستوياته سدا لحاجات المجتمع المختلفة في حاضره ومستقبله .

إن ما يخشاه الغيور على هذه البلاد، الا يمضي زمن قصير حتى نرى مجتمعنا الذي اوجدنا التعليم العالي لخدمته بسد حاجاته يزخر بطبقة ممن تخرجوا من تلك الكليات، ولكنهم قليلو الجدوى في القيام بما يهدف إليه التعليم العالي من غايات في خدمة الأمة، بل ربما اصبح هؤلاء عبئا ثقيلا على المجتمع، لا من حيث عدم المشاركة في بناء حياته، بل ايجاد بعض المشكلات الاجتماعية التي قد تعوق سيره. ومن اولها توفر الاعمال المناسبة لهم، ثم ما يترتب على بقائهم عاطلين لا قدر الله من مفاسد لها آثارها السيئة في كثير من البلاد، وقانا الله شرها ■

---

(١) التعليم العالي في المملكة العربية السعودية - التقرير الدوري الثالث ص ٢٣ .

سأدخل في النَّاي كي تذكريني

شعر: محمد علي شمس الدين - لبنان

سأدخل في النّاي كي تذكريني
وأترك جسمي
على قصب النهر يمضي
ودمي حيثما انفرط الماء يهوي إليكِ
أنتِ أميّ اذنْ
وأنا كنت ذاك الصبيَّ
الذي حملته المياه إلى قدميكِ

* * *

قبّليني طويلًا
جمالُك ينثال كالحلم ، سيدتي
جمالك نار الحياةْ
قبليني
ولا تتركي خاتم العرس يهوي
بلا ساعد
خذيني إذا جالت الريح فوق القبورْ
ولم يبق شيْء سوى الخوف
يسعى ورائي
كذئب الفلاة
إن ألفا من السنوات مشت في دمائي
ولم أنتبهْ
كنتُ طفلًا جميلًا
يدور مع الأرض حيثُ تدورْ
كنت قيساً نحيلًا
ودمعة خدي حديقَهْ
وما كنتِ ليلى
ولكنني سأكتب أن الزمانْ
سرير
وإنكِ اجملُ منها

* * *

غداً
حين أمضي
تهزّين هذا السرير الذي في الهواءْ
فلا تحزني
واعلمي أنني
خاَتمٌ ضاع في ليلة العرسِ
تحت الغطاءْ

الطَحالِبُ البَحريَّة .. فَـوَائِدُ لاتحصَى

بقلم الأستاذ : درويش ابراهيم يوسف - سورية

تزخر المحيطات والبحار، من مياه المنطقة القطبية المتجمدة إلى مياه البحار المدارية الدافئة، بأكثر من عشرة آلاف نوع من الطحالب البحرية التي حددت هويتها حتى الآن . وتعد الطحالب البحرية ابسط اشكال الحياة النباتية . وهي تشكل مجموعة واسعة من الأحجام والاشكال والألوان . ومع أن اسمها بحد ذاته قد يوحي الإحساس بالازدراء والمضايقة، إذ تعدّ بالنسبة لغالبية الناس مصدر الازعاج المربك الذي يفسد لهوهم على الشاطىء ، الا انها تمتلك قائمة من الفوائد تبدو بلا نهاية .

تنوع مدهش

تدعى الطحالب البحرية المجهرية بالدياتومات Diatoms . وهي عضويات دقيقة وحيدة الخلية تأخذ السيليكون والاكسجين من ماء البحر وتصنع علب زجاجية دقيقة مثلثة أو مربعة أو مستطيلة أو دائرية الشكل. وتحتوي هذه العلب على مادة اليخضور . وتصنع الدياتومات مادة زيتية تمكنها من أن تتراقص طافية عند سطح الماء بحيث ينعم اليخضور بأشعة الشمس، متمكنا بالتالي من القيام بعملية التركيب الضوئي .

اما الأصناف الأكبر من الطحالب البحرية، فيشار إليها عموما باسم «اعشاب بحرية». وهي تمتلك جذورا تساعدها على الثبات ، فهي تمتص المواد المعدنية والماء عبر اوراقها، وسيقانها الطرية واللينة التي تتمايل مع الأمواج دون ان تتكسر. ولبعض الأعشاب البحرية انتفاخات صغيرة كالبالونات تبقيها عائمة على سطح الماء. ولكن ضمن هذا الشبه العام للفصيلة هنالك تنوع لا نهائي في مظهرها . فهنالك اعشاب بحرية تبدو كاوراق الخس الغضة او المرجان الأحمر الجميل . اما كتل العشب البحري الأسمر Klep العائم في بحر سارغاسو، شمالي الاطلسي، فهي ضخمة للغاية بحيث انها ولدت حكايات اسطورية عن وحوش بحرية رهيبة وسفن مفقودة، كانت تبعث الرعب في قلوب البحارة قديما.

ومع ان الأعشاب البحرية قد تبدو سمراء، أو حمراء، أو خضراء، فهي تحتوي على اليخضور، المادة التي تمكنها من القيام بالتركيب الضوئي لانتاج طعامها الخاص. ويقدر أن هذه النباتات البحرية البسيطة، إلى جانب الطحالب المجهرية، تقوم بتركيب ضوئي يبلغ حوالي عشرة اضعاف ما تقوم به كل نباتات البر مجتمعة معا . وهي تشكل مخزن غذاء لتسعة اعشار

نوع من الاسناب يغطي احدى صخور ساحل الاكوادور .



صورة مجهرية لشريحة طحلبية. ويقوم الجزء المتسلسل في وسط الصورة بوظيفة امتصاص الطاقة من ضوء الشمس وتحويلها إلى عناصر كيميائية نتروجينية لنمو الطحالب .

الكائنات الحية الموجودة في البحر . ولذلك، ليس مدهشا ان يجد حشد من المخلوقات البحرية مأواه المفضل في طبقات الأعشاب البحرية، حيث يوجد مخزون وافر من الاكسجين والمواد المغذية. فالعشب البحري غذاء للاسماك، كما انه يقدم للانسان تنوعا من المواد المفيدة والرائعة .

فوائد غذائية :

تطوق الجزر اليابانية المتعددة تيارات المحيط الدافئة والباردة على السواء . ولهذا السبب، هنالك وفرة من الأعشاب البحرية المتنوعة في المياه المحيطة بتلك الجزر . كما يزرع اليابانيون طحلبا احمر يدعى بورفيرا Porphyra في خلجان محمية يبلغ عمق الماء فيها بين خمسة امتار، وثمانية امتار . ويحصدون سنويا نحو مئتي الف طن من تلك الطحالب البحرية ويقدمونه كطعام على مائدة الغذاء .

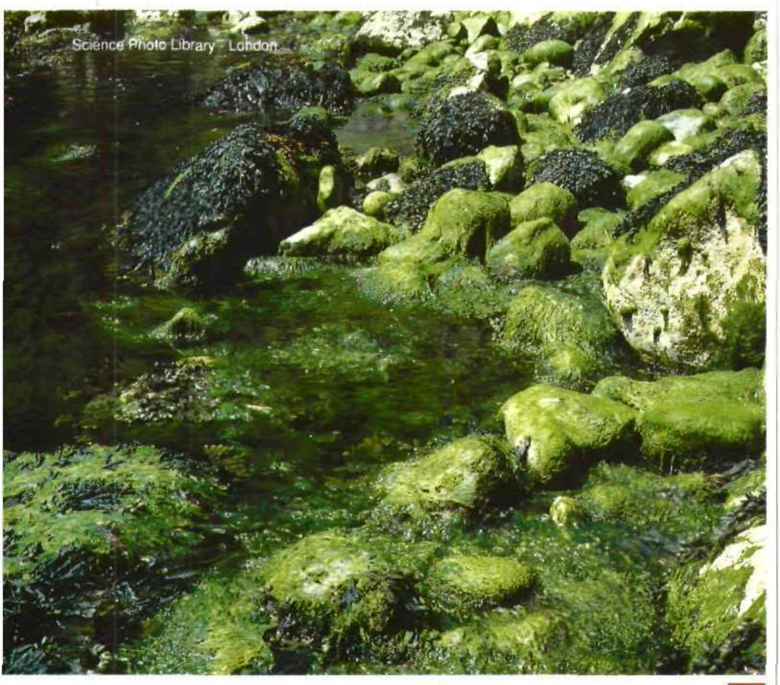
وهكذا يمكنك ان تجد انواعا مختلفة من الأعشاب البحرية في الأسواق اليابانية، وحتى الكورية والصينية. وغالبا ما يؤتى بها مجففة في الصفائح . وهي تعد على شكل اصناف متعددة لكن الأكثر شيوعا بينها هي ثلاثة . الأولى هي «وكامه»: وهي عبارة عن قطع صغيرة من الأعشاب تضاف إلى الحساء أو السلطة . اما «سوشي» الأكثر شعبية فهي أرز مغلف بطحالب حمراء ، مع اضافة الخيار والبيض. ويتألف «الكومبو» المقلي من قطع محمصة من العشب البحري، وهو الصنف الأكثر تفضيلا لدى الأولاد .

وتعد اعشاب البحر ، اطعمة مغذية جدا فهي غنية بالبروتين والمواد المعدنية، والفيتامينات، فالطحالب الحمراء التي تدعى «نوري» يشكل البروتين ٣٥ إلى ٤٠ في المئة من وزنها الجاف وهو بروتين جيد يسهل هضمه وهذا النوع من الطحالب هو مخزن للفيتامينات فبالمقارنة مع السبانخ يحتوي نوري من الفيتامين A ثمانية اضعاف ما يحتويه السبانخ، ومن الفيتامين B1 تسعة اضعاف، ومن الفيتامين B2 خمسة عشر ضعفا، ومن الفيتامين C ضعفين . وبالاضافة إلى ذلك، يعد «نوري» احد الأطعمة القليلة الغنية بالفيتامين B12 . كما يحتوي على ستة انواع اخرى من الفيتامين B.

والأعشاب البحرية غنية بالمواد المعدنية اكثر من اي طعام اخر تقريبا. وتتراوح نسبة المواد المعدنية مثل الكالسيوم، والصوديوم، والمغنزيوم، والفوسفور، واليود، والحديد، والزنك، بين ٧ و٣٨ في المئة من وزنها الجاف فمثلا : تحتوي «وكامه» على ثلاثة عشر ضعف ما يحتويه الحليب من الكالسيوم. والذين يعانون من فقر الدم سيهمهم ان يعرفوا ان نسبة الحديد في الطحالب البحرية تتراوح بين ضعف إلى أكثر من عشرة اضعاف نسبته في السبانخ أو صفار البيض .

فوائد طبية :

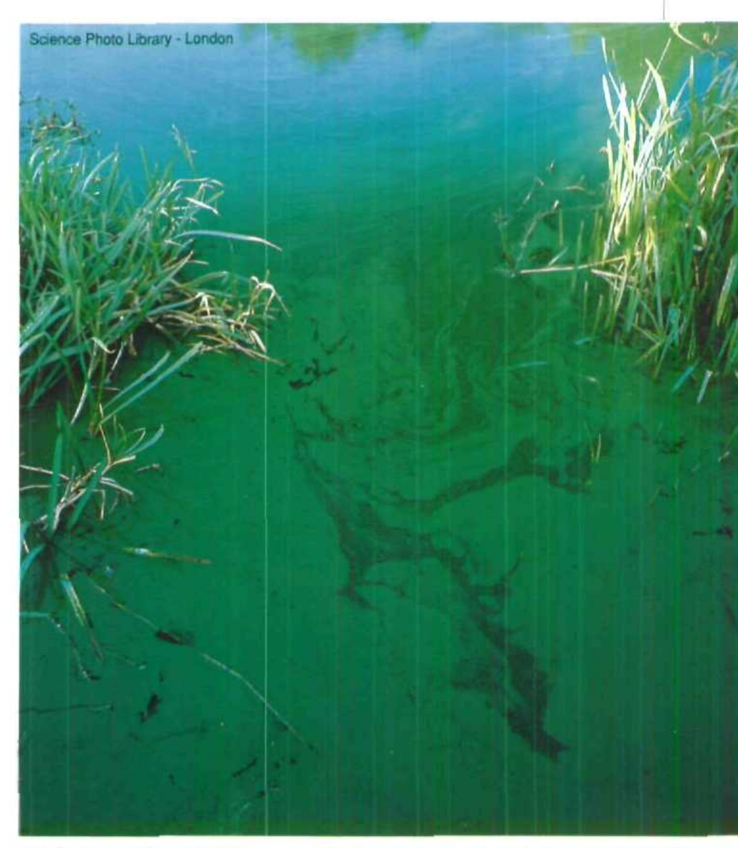
قديما ، منذ مئات السنين ، استخدم البحارة الأعشاب البحرية لتضميد الجراح . فقد برهنت انها تتمتع بخصائص مميزة تساعد على التئام الجروح حتى دعاها العديد من البحارة



صورة لبعض الصخور البحرية المغطاة بأنواع عديدة من الطحالب في احد السواحل البريطانية

بـ «علاج البحر» ومؤخرا، طور العلماء وسائل جديدة لتحويل الأعشاب البحرية إلى انسجة يمكن استخدامها كضمادات لعلاج مختلف انواع الجروح . ويتفوق هذا الضماد على غيره من الضمادات من عدة نواح . فهو يشكل مادة هلامية تحفظ الجرح رطبا خلال مرحلة الشفاء. كما يمكن ان يبقى بحالة جيدة لفترة طويلة من الوقت. وفي معظم الحالات، ينزع هذا الضماد عندما تكون القشرة التي تشكلت فوق الجرح على وشك السقوط. وفوق كل ذلك يتمتع هذا الضماد بمقدرة كبيرة على وقف النزف بسرعة. وهكذا يمكن ان يؤلف هذا الضماد مادة مفيدة في اقسام الاسعاف في المشافي .

وفي فرنسا، حضّر العلماء مركبا يتألف من الطحالب البحرية ومياه البحر الدافئة والطين المستخرج من قاع البحر .



يبدو جانب هذه البحيرة مغطى بنوع من الطحالب يدعى «غبار الماء». وتتسبب هذه الطبقة الملونة في عزل الهواء والشمس عن الماء مما يؤدي إلى قتل الأسماك والأحياء البحرية.

وقد ذكر الطبيب الفرنسي بول اوبيل ان هذا المركب يمكن ان يساعد على تجديد الشباب وابطاء الشيخوخة. حيث تعمل عناصر هذا المركب على تنشيط الخلايا للقيام بأخذ كميات اكبر من الاكسجين من خلال مسام الجلد، الأمر الذي يساعد على تجديد حيوية خلايا العظام والجلد.

وتتميز الياف النباتات البحرية بأنها اكثر طراوة من الياف النباتات البرية. فقد استخلصت منها مادة جيدة للتنظيم المعوي. كما ميز العلماء في الاعشاب البحرية مادة اللامينين Laminin، التي تمنع ضغط الدم العالي. بالاضافة إلى ذلك، وجد العلماء في الأعشاب البحرية بعض المكونات التي تخفض كولسترول الدم وشحومه.

فـوائـد متـنوعة

تحتوي الجدران الخلوية لبعض الأعشاب البحرية على مادة تدعى الجين Algin أو الجينات Alginate. ولهذه المادة عدد من الخصائص الاستثنائية التي تساعدها على ايجاد طريقها إلى مجال واسع من منتوجات المستهلك. فهي مثبت جيد للمستحلبات Emulsions والمعلقات Suspensions ولذلك تستعمل في اعداد الأطعمة اللينة كالأيس كريم، واللبن والجبن، كما تستعمل في مستحضرات التجميل والمستحضرات الصيدلانية كدهون الوجه، ومعجون الاسنان، وحبات الدواء السريعة الانحلال وهكذا.

وقد حقق العلماء في عام ١٩٩٢م، في اول اختبار عالمي من نوعه، نجاحا بارزا بتحويل الطحالب البحرية إلى ورق يمكن الاستفادة منه. فقد واجهت البندقية، المدينة الجميلة في شمال ايطاليا، مشكلة النمو المفرط للطحالب البحرية. وهي مشكلة تعاني منها العديد من البحار والبحيرات التي تصرف اليها المياه السطحية الغنية بالمواد المغذية. وقد استطاع العلماء ان يحلوا هذه المشكلة بشكل مفيد. من خلال تحويل الطحالب البحرية إلى ورق وهذا الورق شبيه بالورق المصنوع من السليلوز وافضل منه في بعض النواحي. ولون هذا الورق اخضر باهت ومبقع بشكل طبيعي.

وفي اماكن متعددة من العالم يجري حصد الطحالب البحرية التي تتكاثر بوفرة على شواطىء البحار والبحيرات، ثم تجفف عن طريق سحب كميات الرطوبة الموجودة فيها. ويقدم المنتوج المجفف إلى المزارعين كي يستخدم كمخصّبات او محسّنات للتربة أو علف للحيوانات. وبالاضافة إلى ذلك، يمكن تخمير الأعشاب البحرية، كالعشب الأسمر، لانتاج غاز الميثان الذي يمكن استخدامه لانتاج الطاقة. ويعتقد الباحثون ان ما يعادل ١٠ في المائة من حاجات اليابان للطّاقة يمكن سده عن طريق هذا المصدر.

وهناك نوع اخر من الطحالب البحرية يتميز بلونه الأحمر الجميل يدعى جيليديوم Gelidium تستخرج منه مادة شبه هلامية تدعى اغار - اغار Agar - Agar تستخدم في مختبرات التحاليل. ومن اهم استخدامات هذه المادة هي صنع المادة الهلامية التي تربى فيها المزارع الجرثومية في الأبحاث العلمية والطبية.

وهكذا فإن المنتوجات التي تعتمد على الاعشاب البحرية، بشكل أو بآخر، تشكل قائمة لا تنتهي. والتقنية الحيوية تطور الآن طرقا جديدة لاستخدام الاعشاب البحرية في انتاج الجلد الاصطناعي، والمضادات الحيوية، والأنسجة المتنوعة. ان هنالك مخزنا من الفوائد الكثيرة في هذه النباتات البحرية ينتظر ان يجري كشفه والاستفادة منه ■

نظريّة «أُولمان» عَن المخ البشري

بقلم : د. محمّد نبهان سويلم - مصر

يزن مخ الانسان ما يزيد قليلا عن كيلو جرام واحد، ولو وضع بين يديك سوف تشعر به ككتلة هلامية مرنة ذات تجاعيد واغوار وفصوص ومناطق كثيرة تحار فيها، وإذا نظرت إليه نظرة مجردة تراه كأنه دجاجة معدة للشي، وهذا المظهر الخارجي يخفي اجزاء مثيرة للاعجاب والدهشة وفيها اعجاز ما بعده اعجاز لدرجة ان العلماء اعتبروا المخ احد الحدود النهائية للعلم التي لا يمكن اجتيازها او حتى الاقتراب منها فهو الحكم المركزي وادارة السيطرة ومخزن المعرفة الانسانية ودونه لا حياة ولا بشر ولا مبدأ أو خبر، فهو مركز جميع المناشط الداخلية والخارجية، غير ان كل هذا على وشك التغيير لأن العلم على حافة تقدم مذهل بقيادة "جيرالد أولمان" الحائز على جائزة نوبل وأحد رواد هذه الثورة العلمية الشديدة التأثير، ولأهميتها وخطورة نتائجها تواجه تأييدا جارفا ومعارضة عارمة في محاولتها تقديم رؤية أكثر عمقا عن ذي قبل حول الكيفية التي يعمل بها العقل وماذا يعني ان يكون المرء انسانا وما هي حدود حرية الاختيار لديه، وإذا صحت النظرية الجديدة فإن نتائجها على المستوى والمحور الاجتماعي ربما تكون بعيدة الأثر وعميقة الأغوار .

إنّ نظرية انتقاء مجموعة الخلايا العصبية للمخ هي محور وهدف النظرية الجديدة التي تشير إلى وجود صلة وثيقة بين وظائف المخ المتشعبة على المستوى الداخلي للانسان وعلى اداء الانسان كنظام حي ومتفاعل مع بيئته، حيث تصاغ على اساس مبدأ الاختيار والانتقاء للشيء الانسان في الكيان الانساني كله، وهي تخطىء كل من قال من العلماء، ان مخ الانسان يناظر في اسلوبه وادائه الحاسوب، وترى النظرية الجديدة ان مخ كل فرد يشبه بدرجة كبيرة غابة مطيرة كثيفة من غابات الأمازون في تشابكها وكثافتها وتميزها، وكل غابة كيان قائم بذاته، وبذا فإن مخ كل انسان كيان متفرد ولا يشبه مخ انسان آخر .

وجيرالد اولمان، العالم الامريكي، هو صاحب النظرية والمدافع عنها فإذا حظيت بالقبول الواسع فإنها قد تؤثر بشكل حاسم على الأفكار والأساليب المتعلقة بكيفية تعلم الأطفال، وسوف تغير على نحو حاسم وجذري المفاهيم البالية للجدل القديم بشأن التطبع في مواجهة الطبيعة، فهل الشعراء أو الفنانون أو العلماء ذوو الانطواء والعزلة .. يولدون على هذه الحالة ؟ ام انهم يتشكلون خلال مراحل نموهم وتشعب قدراتهم الذاتية في اطار ظروفهم الاجتماعية والتعليمية ؟ ويعتقد جيرالد اولمان بشكل حاسم وقاطع دونما ادنى تردد ان للانسان حرية اختيار اكثر مما يظن وان هذه القدرة على الاختيار بين البدائل المختلفة في اطار القدرات والامكانات والمؤثرات الداخلية والخارجية هي قدرة لا يكتسبها عقل مبرمج مثل الحاسب لكن يكتسبها عقل ينظر لكل الأمور من خلال منطلقات مجسدة ومتشابكة ومعقدة، وكل التشبيهات التي استخدمها العلماء لمناظرة العقل بالآلة، مناظرات خاطئة بدءا من القرن التاسع عشر يوم قارنوه بالآلة التحليلية التي ابتكرها تشارلز باباج، ومع كل تطور قارنوه بابرز هذه الآلات، ولما لم يكن على الساحة أبرز من الحاسبات، نال المخ البشري قدره من المضاهاة الظالمة لدرجة ان الجيل الخامس للحاسبات يطلقون عليه الحاسبات ذات الشبكة العصبية .

تبين هذه الصورة الخلايا العصبية في مخ أحد الثدييات وتقوم الخلايا النجمية هنا بإيصال النيتروجينات إلى الخلايا، كما تشكل مخزنا للمعلومات .

والواقع ان الحماس الكامل الذي

يبديه دكتور جيرالد، لنظريته امر مفهوم وله مبرراته ودوافعه، لكن يقف ضد نظريته نخبة من أبرز علماء الولايات المتحدة الأمريكية في مجالات الانسان الآلي، ودراسات الذكاء الصناعي، وهم يعتقدون ان عقولنا متشابهة لدرجة مذهلة ومنسقة مع الحاسوب لدرجة أننا في يوم ما سنكون قادرين على تخزين ذكرياتنا واحلامنا وخبراتنا وعواطفنا وشطحات خيالنا وتعليمنا على وسائط تخزين الحواسيب دونما استخدام برامج وسيطة لأن الجهاز الناقل (المخ) يشبه ويتطابق مع الحاسوب المنقول إليه، رغم الاختلاف الجذري بين خلق الله الذي أحسن كل شيء خلقا وبين صناعة الحواسيب .

والنظرية الجديدة ليست وليدة تفكير مفاجيء ، بقدر ما هي تتويج لجهد ثلاثة عقود امضاها مبتدعها في البحث العلمي المضني، والرجل مشهور بين زملائه العلماء بأنه قارىء لكل شيء ولا يستطيع مقاومة سحر قراءة ورقة مهملة أو قصاصة جريدة أو مجلة أو دورية ولقد اطلع على جميع الأفكار الاساسية في الذكاء الانساني، وغاص بين تضارب حاد وتلاطم أراء وتصادم تفسيرات، ودحض خلال ابحاثه الشاقة افكارا خاطئة كثيرة واجرى سلسلة ضخمة من التجارب الاكاديمية المنظمة في المجالات الرئيسة لعلوم المخ مثل طب الاعصاب وعلم الوراثة وبيولوجيا الجزئيات واساليب فحص المخ والذكاء الصناعي ثم انطلق صوب دراسة النماذج التركيبية لاختبار صحة نظريته، وبنى ثلاث نماذج وجرب وعدل، واضاف وحذف، واستعان بعلوم كثيرة ومناهج متعددة، وكان شأنه كرجل يشق طريقه في الصخر، وحلل أدب الموضوع وكل الانتاج الفكري الذي تزدحم به اوعية المعرفة، وتوصل إلى بناء نموذجه الرابع، وجاء على هيئة انسان آلي مزود بعين وحاسة شم وذاكرة بدائية اخذ يعمل على تطويرها دون كتابة برامج، وحرك هذا البدن المعدني المعقد بقوة حسابية ضخمة، ويوم نشرت صورة معداته ونماذجه ظنها القراء واحدا من اضخم مجففات الشعر في العالم .

قد يتساءل بعض القراء كيف يعمل انسان آلي دون برمجيات؟ والسؤال وجيه وبالغ التركيز والدقة لأنه يستحيل فنيا تشغيل انسان آلي دون برمجيات تتحكم وتسيطر، لكن يكمن سحر التجربة في الريادة والابتكار لأن لو توقّف مبتكر فكرة او مبتدع نظرية حيال القيود المفترضة من نظريات قديمة لما كان هناك ابداع او تطور، فاولمان يهضم التراث الانساني في مجاله ويناقشه ويحلله ويبلور بثاقب فكره ابداعا جديدا ربما يقلب كل الأسس التي قامت عليها النظريات السابقة، فالحق ان قضايا العلم قضايا نسبية، الصواب منها قد يصبح خطأ في قابل الأيام.

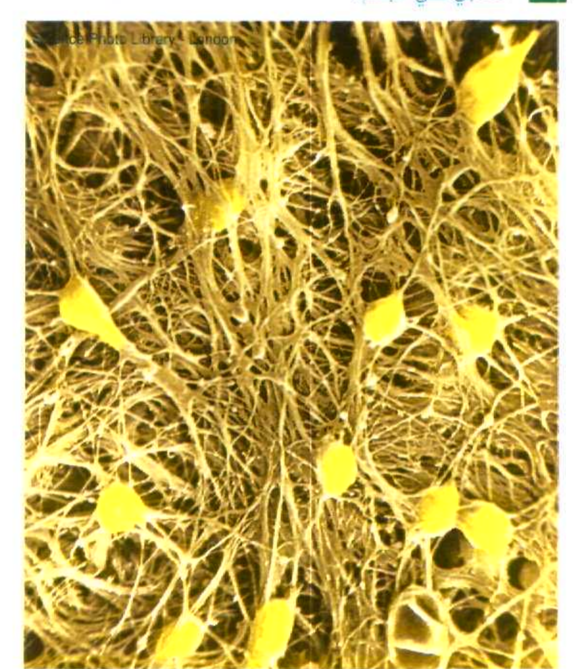
إن نقطة البداية في النظرة الجديدة التي اثارت خلافا عميقا كان التساؤل، ما هي الصورة الذهنية التي تتولد في افكارنا او نستحضرها عندما نفكر في العلاقة بين افكارنا وبين المادة الرمادية الطبيعية للمخ، وهل العقل شيء منطقي غير مادي ام نوع من القدرات التي تمثل اهمية للجسد، ام انه نوع من الافكار التي تشكلت بفعل تأثيرات البيئة المحيطة بنا ؟

ويرفض «اولمان» بسرعة هذه النماذج الكلاسيكية لتشكيل خلايا المخ وذلك قبل ان يحول اهتمامه إلى التركيز الحقيقي على حجته ويقرر ان ميل العلماء في كل عصر إلى مقارنه المخ بما يتوصلون إليه من آلات حضارية ويدلل على ذلك ان العلماء في نهاية التاسع عشر وبدايات القرن العشرين شبهوا المخ بشبكة تليفونية هائلة تنقل البيانات والمعلومات بين مختلف خلايا الجسم وبين البيئة وما ان توصلوا إلى صناعة الحاسوب حتى اعتبروه افضل نموذج له، وقد ادى التناظر الوظيفي الذي يجري على عكس ما نعرفه عن انفسنا إلى حدوث ازمة عميقة في العلم وفي الثقافة .

هذه الأزمة كانت البيئة الصالحة لظهور بدايات جديدة، وقد اطلق دكتور اولمان نظريته بأن الانسان يفهم نفسه ويتفهم عالمه بطرق فردية محضة لكنها خلاقة وديناميكية وغير قابلة للتنبوء، فنحن نخلق عالمنا الداخلي والخارجي في سياق الابداع والتغيير اللذين لا يتوقفان. ان رموز ولغات وبرامج ونظم الحاسوب لا تستطيع ببساطة شمول لغة الانسان او خيالاته او احلامه او استخداماته المجازية للغة ولا يستطيع الحاسوب تقليد قدرة الانسان على اجراء مناقشة ذات معنى ومضمون وهدف وغاية ويفشل تمام الفشل في سرد طرفه أو ملحة أو «نكتة» او قرض رائعة من روائع الشعر أو الفن التشكيلي، كما لا يستطيع ان يجاري قدرة الانسان على صنع الحاسوب ذاته كما لا يستطيع ان يشعر بالخجل او يدرك الاحساس بالكيان او الذاتية أو ما شابه من صفات شخصية .

والتحدي الذي تواجهه النظرية، هو كيفية اعادة العقل مرة اخرى إلى الفطرة أو الطبيعة، مما سوف يتطلب دراسة دقيقة عن كيفية نموه في الأجنة وكيف

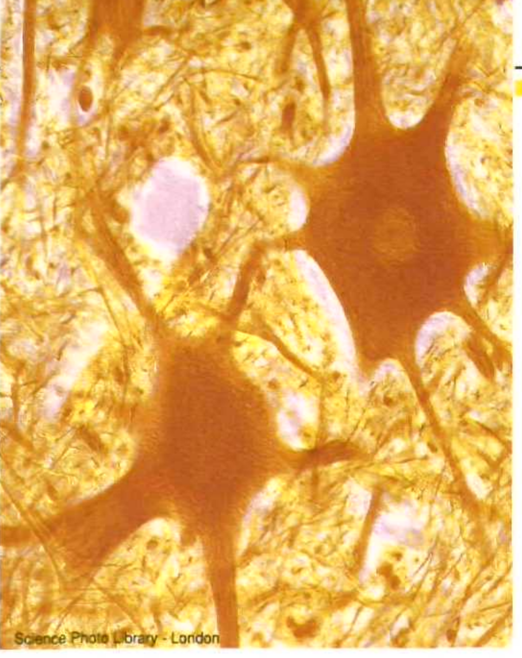
صورة اصطناعية لبعض الخلايا العصبية (Neurones) في الدماغ البشري التي تكون وظيفتها تحديد المقاييس والأشكال داخل الجهاز العصبي في الجسم .



ينمو ويتطور بعد الولادة، لأن المشكلة ليست في عدد الخلايا العصبية التي يبلغ عددها قرابة البليون خلية وتبلغ جملة الاتصالات بين الخلايا ارقاما فلكية استحال حتى الآن رصدها أو حتى التنبوء بها لأن الاعجاز الالهي في المخ ليس في العدد، كرقم مطلق، لكن عندما تكون هناك اتصالات بين الخلايا لأن تأثيرها ليس جمعا كما تعلمناه في الحساب بل هناك قيمة مضافة من جراء اتصال الخلايا بعضها ببعض، وقد يصل عدد الاتصالات إلى عشرة وامامها ثمانون صفرا ... حاول قراءتها بالبلايين وبلايين البلايين ولن تحصل على اجابة، وهذا الرقم يعطي مفتاحا او خيطا لمعرفة طبيعة الشيء الذي نتعامل معه.

الشيء اللافت للنظر ان التجارب الجديدة خطط لاجرائها باسلوب غير مسبوق إذ تحاول ايجاد العلاقة بين مناعة الجسم وخلايا المخ، فحتى منتصف الستينات كان علماء الاحياء يعتقدون ان مناعة الانسان للمرض هي نتيجة لنوع واحد من الاجسام المضادة تشكل خط الدفاع الوحيد في الدم، وتلتف عناصره حول البكتريا والفيروسات التي تغزو الجسم وتتمكن من صنع جسم مضاد يقضي على الميكروبات ومسببات الأمراض وهذا الجسم المضاد يعيد انتاج مضاد جديد وفق سلسلة متصلة ومسلسلة دائمة. لكن الدراسات الجديدة اثبتت ان هناك فئة من الاجسام المضادة تعدادها آلاف الأنواع وهناك شبكة اتصالات ومعلومات توفرها عملية نمو الجسم وان البكتريا المهاجمة تختار من هذه الردود النوع الذي يناسبها لكي تتضاعف وتدمر نفسها، معنى هذا ان جهاز المناعة يعمل بالانتقاء من قائمة ذكريات ومعلومات واسعة وعريضة وليس عن طريق اي تعليمات يصدرها المخ.

وعلى مدى العشرين عاما الماضية، لم يكن اولمان هو العالم الوحيد الذي يتكهن بان جهاز المناعة، ربما يقدم خيوطا عن الكيفية التي يعمل



صورة مقطعية لخلية عصبية متعددة الأقطاب داخل الدماغ، وتكمن وظيفة هذه الخلية في تلقي الاشارات العصبية والرد عليها، اما مهمة الجزئيات ذات اللون البرتقالي فهي حماية الخلية العصبية.

بها المخ، ولكنه كان هو العالم الوحيد الذي مضى قدما في تطوير أول نظرية كاملة في هذا الشأن ويوضح اولمان ان الصورة العامة هي اننا قد ولدنا بعدد هائل من الخلايا العصبية داخل المخ، ويبلغ عددها حوالي ١٠ مليار او اكثر. وهذه الخلايا هي اشبه بالمشغلات الدقيقة الفردية، فهي تستقبل وترسل اشارات معقدة، وتستخدم دفعات كهربائية وموصلات كيميائية متناسقة وهي تنظم نفسها في مجموعات لتشكيل خرائط تستجيب لخبرتنا.

نعم ان خلايا المخ لا تتضاعف، فلقد ولدنا ولدينا ما يكفي لانفاق واستهلاك اعداد مهولة منها، ونقاط الاشتباك للخلية العصبية ذات اهمية حيوية في تشكيل وتشغيل خرائط المخ تلك الخرائط التي تجعلنا نفهم أو ندرك العالم وانفسنا. وخلال فترة النمو الأولى فإن العدد الهائل من الدوائر والاشارات المحتملة في نقاط الاشتباك العصبية، تمثل شيئا ما اشبه بالسوبر ماركت للمهارات المتوفرة، التي يتم الحصول عليها وتخزينها من خلال حياة الجنس البشري، والتي من بينها ستصنع بيئتنا وخبرتنا.

ان الوصلات التي تربط بين خلايا المخ والتي يتم حفرها باستمرار سوف تحيا وتنمو بقوة وهناك عدد آخر من هذه الوصلات سيضمر أو يتم تحويله إلى مهام اخرى، وتؤكد الأبحاث ان هذه العملية اشبه بانتقاء «المجموعات» في تطور الجنس البشري.

ولقد اجرت الدكتورة ايستر ثيلين – من جامعة انديانا – بحثا بشأن الكيفية التي يتعلم بها الأطفال الرضع الزحف. وقد اظهرت ان هناك اختلافا ضخما بين الأطفال الرضع في الطريقة التي يحركون بها ازرعهم وايديهم للامساك بشيء معين، وعلى مسار بضعة اشهر تبدو هذه الأنماط وكأنها في موضع تنافس، ثم تظهر مجموعة من الحلول الناجحة وهذه الحلول تكون دائما فريدة ومنفصلة وتتكيف مع ظروف كل طفل، وهي حلول تظهر تدريجيا من خلال عملية التجربة والخطأ بدون اي برنامج او خطة، فالطفل يخلق حلوله الخاصة بطريقة مبدعة، وقد يطور في البداية حلا متواضعا، ولكن في النهاية فإن مثل هذا الحل ينهار ويفسح الطريق لحلول ناجحة.

ان الخرائط العصبية ربما تحمل ميلا محتملا لاستعدادات مثل القدرة الموسيقية او الرياضيات أو اللغات، أو ربما تحمل مهارات طبيعية تشمل تنسيقا بين اليد اليمنى والعين، ولكن تطور مثل هذه الأنشطة – إلى جانب معظم التعليم العادي مثل الرؤيا والسمع والاكل والزحف والمشي – سوف يعتمد على التلائم بين الخبرة والخرائط المحتملة.

وتقترح النظرية وضع تركيز جديد على فهمنا للتوازن بين الطبيعة والتطبع، فنحن لم يعد في امكاننا ان نعتبر عقولنا متطابقة او متساوية، وكل عقل فريد في ذاته ومحشو بامكانات وقدرات لا تحصى ويبقى تذكر قول الحق سبحانه وتعالى ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ ■

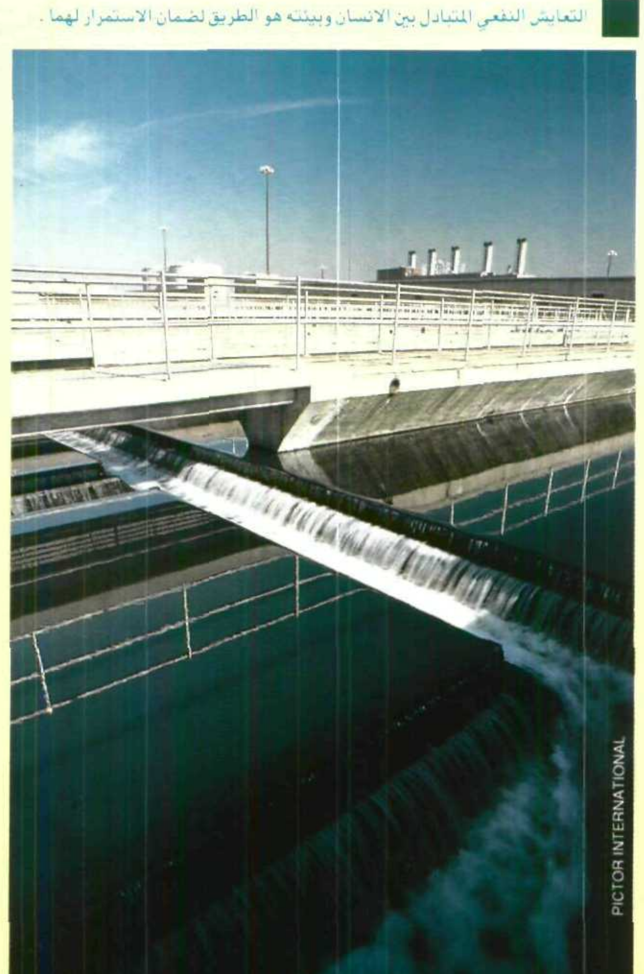
الإنسان والبيئة

بقلم المهندس : محمد غياث الأشرف
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

في النصف الثاني من هذا القرن رأينا لأول مرة كوكبنا من الفضاء الخارجي وشاهدنا كم تشغل اليابسة والمحيطات من سطحه واستطعنا تفهم المتغيرات البيئية بشكل اعم بفضل التقدم العلمي الهائل الذي نعيش فيه بحيث اصبح العالم قرية صغيرة وبتنا مذهولين بهذا التقدم العلمي وما يقدمه لنا من تقنية لزيادة فهمنا لأنظمة الطبيعة بشكل افضل، وبالرغم من غزو الفضاء والعقول الالكترونية المذهلة فنحن ما نزال نعاني من الملائمة ما بين الأفعال البشرية ودورة الطبيعة ومكوناتها من انسان وحيوان ونبات وتربة وهواء وماء . وتناسينا اننا لا نملك هذه الأرض ولكن ورثناها من آبائنا ، وأن دولا يمكن ان تختفي من خارطة العالم، وان هنالك شعوبا تحت خط الابادة الجماعية بفعل النشاطات البشرية وما قد تحدثه من تغيرات مناخية باتت مترابطة مع السلوكيات البشرية تجاه موارد البيئة نتيجة استباحة هذه الموارد بحجة التنمية. صحيح ان هنالك استحالة فصل قضايا التنمية عن البيئة ولكن هنالك ايضا تنمية قابلة للاستمرار عن طريق الادارة الفاعلة والعقلانية لهذه الموارد .

فالبيئة Environment ليست مجالا معزولا عن الافعال والطموحات والحاجات البشرية، فهي المجموع الكلي ومحصلة جميع العوامل الخارجية التي تؤثر في حياة الكائن الحي فهي الوسط الذي يعيش فيه الكائن الحي وهي مجموعة عناصر تشمل المناخ المحلي من حرارة وبرودة وجفاف ورطوبة وامطار ورياح، وطبيعة الأرض من تضاريس وسهول وصخور وتربة ومياه ونبات نوعا وكما والحيوان انواعه واعداده ومتطلباته الغذائية والانسان وفاعلياته ونمط وطراز حياته اليومية والاجتماعية وما يتطلبه من استغلال لموارد الأرض الطبيعية .

ان البيئة نظام ديناميكي معقد فيه الكثير من المكونات التفاعلية المتداخلة مع بعضها بعض وأن معرفتنا بهذه المكونات وبالتفاعلات التبادلية فيما بينها وبالعلاقات ما بين الانسان والموارد الطبيعية وخططه التنموية جعلتنا مدركين اكثر من أي وقت مضى ان التنمية ما لم تسترشد بالاعتبارات البيئية والاجتماعية والثقافية والاخلاقية فإن نتائج التنمية ستكون غير مرغوبة وتعود بفوائد قليلة أو حتى تفشل تماما .



التعايش النفعي المتبادل بين الانسان وبيئته هو الطريق لضمان الاستمرار لهما .

إن التنمية « غير القابلة للاستمرار » ستعمل على تفاقم المشاكل البيئية الموجودة حاليا ويتعين علينا جميعا ان نفهم حقيقة محدودية الموارد وقدرات النظم البيئية الطبيعية على التحمل وعلينا ان نضع خططا لا تؤدي إلى استباحة الموارد البيئية بحيث تكون تنمية قابلة للاستمرار دون استنزاف وتدمير لتلبي حاجات الجيل الحاضر دون ان تعرض للخطر قدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها والعيش بسلام، وهنا تبرز اهمية

نشر الـوعي البيئي والتربيـة البيئيـة التي تنمي الشعور لدى كل فرد بالمجتمع بأهمية العـلاقة بين سلـوكيـات الانسان والأنظمـة التي صنعهـا بنفسه مـن انظمة اجتماعيـة وثقافية واقتصاديـة وسياسية وتقنية وبين النظم الطبيعيـة الموجـودة اصلا في البيئـة التي يعيش فيهـا . فالانسـان اهم مكونـات النظـام البيئي فهـو الـذي يستغل مـوارده ويستفيـد من انتـاجـه وهـو الـذى يصنع ويشكل بيئتـه التي تعطيـه احتيـاجـاتـه الغـذائية وتمنحـه الفـرصة لتحقيق النمـو الفكري والخلقي والروحي، وقد تكونت لدى الانسـان خـلال مراحل تطـوره الحضـاري الطـويل، قـدرة على تحويل وتحويـر بيئتـه بطـرق لا حصر لها وعلى نطـاق واسع لم يسبق لـه مثيل لتحقيـق رفـاهيتـه وخـلال تطـوره هـذا أخلّ في حـالات كثيرة ببيئتـه الطبيعية ولكنـه كان يتغـاضى عن ذلك امام مظاهر الرفاهية والثراء .

ان التـوازن والاختـلال البيئي عمليتـان معقـدتان لا يمكن مـلاحظتهما بشكل واضح إلا في المراحل الشبه نهائية فالبيئة تنطوي على توازن وتنـاغم مـا بين عناصر مكـوناتها الطبيعية، وعنـدما يستمـر هذا التنـاغم ما بين مكوناتها ومـا بين الانسان والحيوان فإن الاختلال يبقى بعيـدا، فالبيئة دورة مكـونة من مجمـوعة دوائر مترابطة واختـلال رابط من الروابط بين هذه الـدوائر يحدث تفاعلات متسلسلـة تـؤدي إلى اختـلال التـوازن والتناغم بين العناصر المكونة للبيئة .

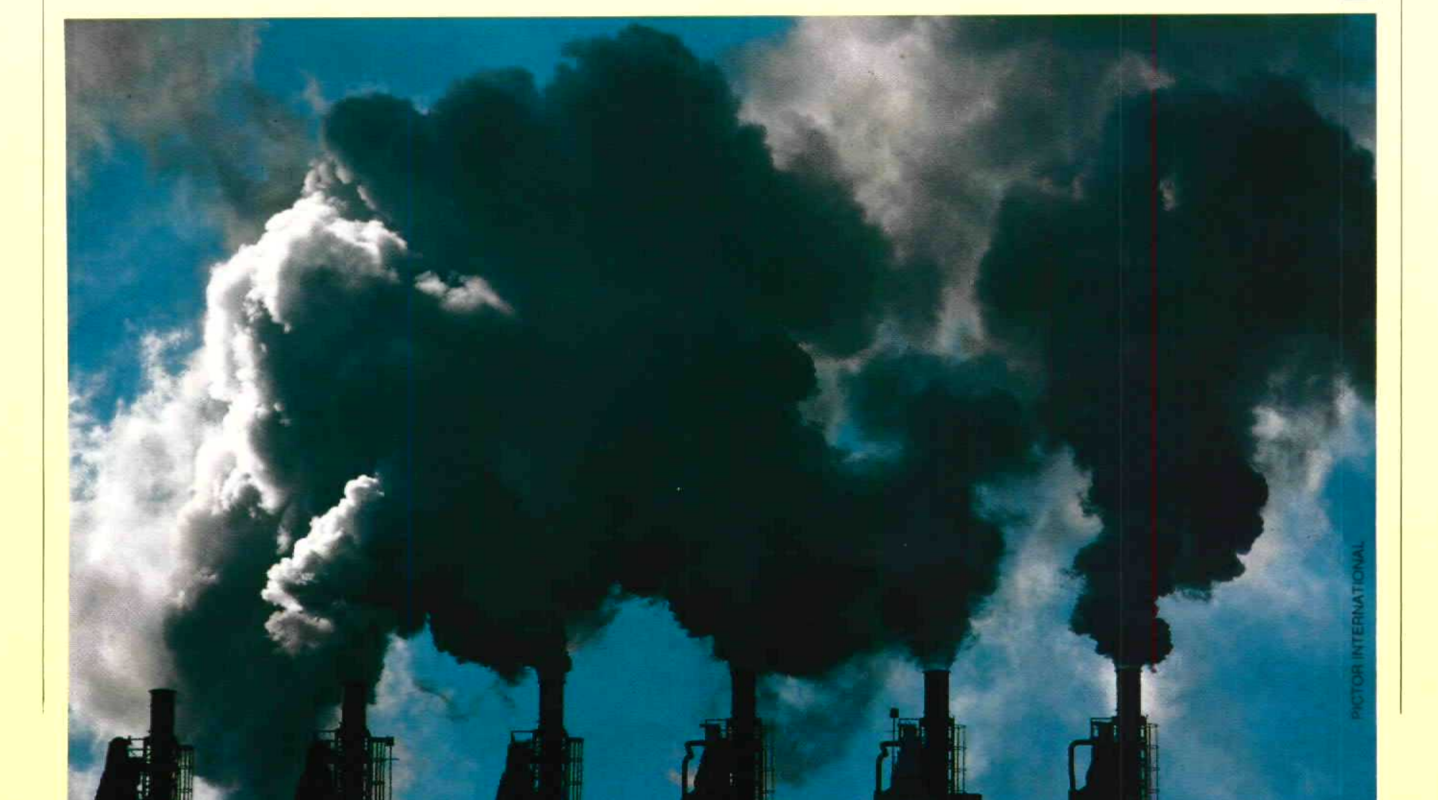
والإنسان بسلوكياته، هو العامل المحدد لهذا التنـاغم والتوازن البيئي فالبيئة هي المكـان الـذي نعيش فيـه جميعـا وهي همّ مشترك من اجل استمـرار البقـاء ، فعلم البيئـة Ecology هـو ذلك الجزء من علم الاحياء الـذي يعنى بالعـلاقة المتبـادلة بين الكائنات الحية وبيئاتها .

والبيئي Environmentalist هـو ذلك الانسان الذي يسعى للمحـافظة على البيئة ويحول دون ان تتعرض لها ايـة يد بأي تغير وهو لا يريـد لأي انسان مهما كان ان يستغل خيراتها الطبيعية بأية صورة من الصور لأن استغلالها سيؤدي إلى اعادة تشكيلها .

وعالم البيئـة Ecologist هو الشخص الـذي يحاول المناغمـة والموائمة بين البيئـة والتنميـة وبين الاشخـاص البيئيين والأشخـاص الـذين يحاولون جـاهـدين ان يسخـروا معطيات وهبـات ومصادر البيئـة لمصلحتهم دون النظـر إلى عـواقب الأمـور التي تترتب على استغـلال مكـونات البيئـة ومـواردهـا بصـورة تـؤدي إلى تـدميرهـا ونفادهـا، وعـالم البيئة هـو انسـان متعلم ومثقف يسعى إلى خلق تـوازن بيئي تكـون فيه العلاقات بين الكـائنات بعضها مع بعض والموارد والأنظمـة البيئيـة في حالـة تـوازن وتناغم لدرجة كبيرة .

والنظـام البيئي Ecosystem هـو اي مناطق طبيعيـة تتفاعل فيه عنـاصره الحية من حيـوان ونبـات وكـائنـات مجهـريـة مع

ان استغلال موارد البيئة بشكل جائر يحقق فوائد آنية ولكن عواقبه ستكون وخيمة على الأجيال القادمة .



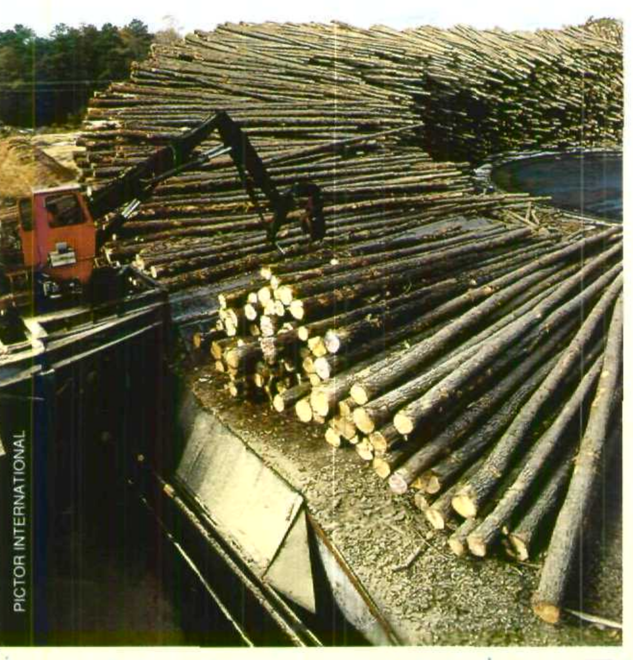
بعضها بعض ومع عناصر المنطقة الطبيعية غير الحية الفيزيائية والكيميائية، بحيث ينشأ نوع من التوازن بين هذه العناصر المختلفة مما يعطي للنظام البيئي حالة الاكتفاء الذاتي عن طريق سلسلة من العلاقات الغذائية على مستويات متعددة يتم خلالها انتقال وتوزع الطاقة وتحول المواد في شبكة من الدورات والحلقات الطبيعية وهو يتكون من :

* مواد غير حية ، وهي المواد العضوية واللاعضوية بالبيئة .
* الكائنات الحية المنتجة وهي النباتات .
* الكائنات المستهلكة وهي الحيوان والانسان .
* الكائنات الرمية أو المفككة وهي الفطريات والجراثيم والاحياء الأولية المجهرية .

ويؤدي أي تدهور كلّي أو جزئي يحدث لأي عنصر من عناصر النظام البيئي الطبيعي إلى تدهور خصائص وتوازن وتناغم النظام البيئي .

وتعد الفعاليات والأنشطة البشرية من رعي جائر للمراعي الطبيعية وازالة الغابات وزراعة الأراضي الهامشية والتنامي المتسارع في استهلاك الوقود الأحفوري لتوليد الطاقة والنقل والصناعة وما ينتج عنه من مخلفات ضارة بالبيئة الجوية والتربة والمياه، من الأمور المخلة بتوازن الأنظمة البيئية .

إن التفاعل ما بين الظروف الاقتصادية والبيئية بشكل غير متوازن يؤدي إلى كوارث. فاستغلال موارد البيئة بشكل جائر غير مسؤول يحقق فوائد آنية، ولكن عواقبه ستكون وخيمة على الأجيال القادمة .



يعتبر قطع أخشاب الغابات بصورة جائرة إخلالا بتوازن البيئة وتدميراً للمساحات الخضراء .

والانسان كفرد يجب أن يكون في حالة توازن مع الطبيعة لا فوق الطبيعة . ففي حالة التوازن مع الطبيعة يمكن لكليهما الاستمرار على مر العصور . فالتعايش النفعي المتبادل ما بين الانسان وبيئته هو الطريق لضمان الاستمرار لهما ويمكن تحقيق ذلك التكامل عن طريق عدم اجهاد الانسان لبيئته بحيث يجعلها تتحمل اكثر من طاقتها ويمكن تحقيق ذلك عن طريق التناسق والتعاون الاجتماعي والاقتصادي بين المجموعات البشرية. اما في حالة كون الانسان فوق الطبيعة فهنا تكون الكارثة والتدهور لأن الفوقية تؤدي إلى الانانية وبالتالي الأخذ من الطبيعة اكثر من قدرتها على العطاء فتتدهور البيئة وبالتالي يتدهور الانسان لتدهور مكان ومصدر معيشته ويزداد الأمر سوءاً عندما تتبنى السلطة الادارية مبدأ الانسان فوق الطبيعة لأن التخريب البيئي يكون ذا ترخيص قانوني باستباحة الطبيعة، فالسلطة الادارية يجب أن تكون بجانب عدم الاخلال بالطبيعة عن طريق نشر الوعي الاعلامي البيئي والتربية البيئية وسن القوانين الصارمة التي تكفل التوازن ما بين البيئة والنشاطات البشرية فالقانون هو افضل وسيلة تعليمية بالمجتمع .

إن من الأهمية تقييم التكلفة والمنافع البيئية لأية عملية انمائية او انتاجية إذا اردنا أن نحقق التنمية القابلة للاستمرار. وبصورة عامة تتجاوز قيمة المنافع المترتبة عن تقليل التلف وحماية وصيانة الموارد البيئية إلى حد كبير قيمة هذه التكاليف ففي الولايات المتحدة بينت الدراسات ان قيمة المنافع الصافية السنوية الناجمة من السيطرة على تلوث الهواء والماء تبلغ ٢٦ مليار دولار . ومن شأن منع التلوث البيئي ان يؤدي إلى تحسن صحة السكان وهذا ينعكس على انتاجية العمل والحد من الانفاق الحكومي على الخدمات الطبية .

فالموارد الطبيعية ليست هبة غير قابلة للنفاذ وليست ذات قدرة تحمل غير محددة . إن الاعتبارات البيئية وكلفة تدهور البيئة واستنزاف موردها يجب أن تكون جزءا لا يتجزأ من التخطيط الشامل للتنمية في قطاعاتها الاجتماعية والزراعية والصناعية والعمرانية لتفادي الآثار السلبية التي قد تنجم عن اهمال هذه الاعتبارات بطرق تكاد لا تنتهي ، ان سلامة البشرية تكمن في جعل البيئة مصدر اهتمام الجميع وشغلهم الشاغل .

إنه عالم واحد .. لذا يجب المحافظة عليه ■

الملاريا

من أخطر أمراض البلدان الحارة

بقلم: د. غالب خلايلي - الامارات العربية المتحدة

الملاريا مرض الاستواء الأول الذي يصيب ملايين الناس ويقتل الكثيرين منهم. وهو قديم .. وكان شبحا مرعبا يجتاح بلاد العالم لا سيما الحارة حتى ربع قرن مضى. وهو لم يتراجع إلى الوراء (بعد ان قضي عليه نسبيا) منذ حوالي عشرين عاما أو أقل قليلا. فقد عاد شبحه ليسيطر من جديد. بعد ان صار يقاوم الأدوية المعروفة. وصارت البعوضة الناقلة تقاوم المبيدات الحشرية.

وفي دولة الامارات مثلاً حالات ليست بالقليلة. فقد ذكرت احدى الاحصاءات المنشورة في صحيفة اماراتية ان مجموع اصابات الملاريا المسجلة في عام ١٩٩١م ٢٨٢٣ اصابة. وقيل ان ٤٠٪ منها وافدة من باكستان و ٢٠٪ وافدة من عمان و ١٠٪ من المواطنين. وهذا يتطابق مع وبائية المرض خلال السنوات الماضية. ويقول التقرير ان مجموع الحالات الوافدة للدولة ٩٧٪ من الاصابات بينما لا تشكل الحالات المحلية سوى ٣٪ خاصة في منطقة رأس الخيمة ومنطقة الساحل الشرقي.



صورة لبعوضة في اثناء لدغها لجسم بشري، وهي في الوقت الذي تمتص فيه دم الانسان تنفث داخل جسمه مادة بروتوزونية تتسبب في الاصابة بالملاريا.

اسم المرض :

يتساءل المرء عن معنى «ملاريا» ثم لايلبث ان يقبلها كما يقبل الكثير من الكلمات على علاتها. والحقيقة ان الرومان هم مطلقو التسمية Mal-aria وتعني الهواء السيء Bad air. فقد عزوا حالة الحمى التي تأتي كل يومين أو ثلاثة ايام للمريض إلى الهواء الرديء القادم من المستنقعات. ونعلم ان المستنقعات هي اهم مكان لتكاثر البعوض الناقل للمرض.

والملاريا «أو البرداء» هي الخطر الذي يتحدى منظمة الصحة العالمية على مر السنين. إذ يصاب ٢٠٠ - ٣٠٠ مليون شخص كل عام حسب معطيات المنظمة. ويموت منهم ١٪ تقريبا (٢ - ٣ مليون سنويا). ورغم محاولات استئصال شأفة هذا الداء الا انه ما يزال المشكلة الأولى في البلدان الحارة حيث يتكاثر بعوض الانوفيل بوجود الحرارة والمجمعات المائية المهملة (حتى الصغيرة) في جنوب شرق اسيا والهند وباكستان والشرق الأوسط وامريكا الجنوبية والوسطى وافريقيا. وتبذل المحاولات المستميتة في مكافحته، لأن الاهمال يعني كارثة. فالبعوض يتكاثر بنسب عالية (هندسية) مريعة.

مرض البرداء

هو مرض طفيلي ناجم عن طفيلي صغير جدا يدعى بلاسموديوم يغزو كريات الدم الحمر. وطرق العدوى هي:

- لدغ انثى بعوض الانوفيل.

- نقل الدم المخموج (المصاب).

- من الأم إلى وليدها عبر المشيمة.

ومن لدغة الجلد. يذهب الطفيلي عبر الدم إلى الكبد حيث يتكاثر هناك. ومن خلايا الكبد تنتقل الطفيليات إلى الدم حيث تغزو الكريات الحمر وتتكاثر فيها خلال يومين أو ثلاثة ايام. حتى إذا امتلأت بالطفيليات انفجرت وغزت كريات اخرى. وهكذا حتى يصبح عدد الكريات المصابة كبيرا فتظهر الأعراض.

فترة الحضانة:

تستمر فترة الحضانة من اسبوع إلى اسبوعين (وربما شهر في بعض الأنواع). وهي الفترة الفاصلة ما بين اللدغ وظهور المرض.

أعراض البرداء:

حين تنفجر الكريات الحمر يشكو المريض من:

- قشعريرة وارتجاف واحساس بالبرد (عرواء أو بردية) وهذا ما يدعى بالطور البارد ويدوم من دقائق إلى ساعتين.

- الحمى .. والصداع والقيء (الطور الحار).

- تعرق غزير (ساعة إلى ساعتين) وقد يبللّ المريض الفراش من كثرة التعرق.

- شحوب نتيجة فقر الدم بانحلال الكريات وتكسرها في اثناء النوبة.

وقد نرى البول احمر او اسود نتيجة طرح الدم فيه. بعدها ينام المريض ويبقى مرتاحا حتى الهجمة التالية التي تأتي بعد ٤٨ - ٧٢ ساعة حسب النوع. ويتضخم الطحال بعد ثلاث او اربع نوبات.

ملاحظات مهمة

- لا تكون الحمى منتظمة الحدوث عند الأطفال الصغار. او عندما تكون الاصابة بأكثر من نوع من الملاريا.

- الملاريا المنجلية M. Falciparum خبيثة بما تصيب من اوعية شعرية دقيقة في الدماغ والرئتين والكليتين والأمعاء. وهذه خطرة على الحياة. وهي الوحيدة التي لا تتكرر ان لم تحدث عدوى جديدة. لأنها لاتترك لها اثرا في الكبد.

- الاصابة الأولى بالملاريا شديدة عادة. بينما تكرر الاصابة منذ الولادة يؤدي إلى تحمل جيد في سن عشر سنوات، حيث تتشكل اضداد نوعية للملاريا. ومن الملاحظ ان تحمل الملاريا اكثر عند الافريقيين.

- يتم التشخيص بفحص عينة من الدم تكشف الطفيلي. وهو ليس سهلا دائما.



مريض بالملاريا يتلقى علاجا مكثفا عن طريق الوريد، وهذا المرض من اكثر الأمراض الطفيلية التي تصيب الانسان.

عــــلاج المــــلاريـــا :

يكون العــلاج بأحد مركبـات لحاء شجر الكينـا المعــروف .. ولـذلك قصــة تـاريخيـة طريفـة جعلت من الكينـا «اسطورة» . فعلى مـدى ثـلاثة قـرون مضت استهـوت الكينـا عقـول الأطبـاء. وعــالجوا بها كل حـرارة. ويعتبر المركيز كينكـون أول من استخـدمها واذاع فوائدها (وهو نائـب الملك في عاصمة بـيــرو) إذ أصيبت زوجته بالملاريـا وكادت تهلك. فاستعان برجل رث الثياب لكنه خبير أعشـاب لعــلاج زوجته. فأخـذ يغلي قشـور شجـرة كينا) ويسقى المركيـزة فرنسيسكـا كينكـون عـــام ١٦٣٠م حتى شفيت ونشر المركيـز السر في اسبـانيـا وبـاع الكيلـو من مسحوق الكينـا بخمسين ليرة ذهبية، وتعـد هذه أول حالة ملاريا يتم علاجها .

كما اصيب لـويس الـرابع عشر بالملاريـا وبحث عن المسحوق الـذي لم يكن يوجد الا عند طبيب انجليزي اسمه «روبرت تايلور» الـذي ادخلـه خلسـة. فأوفـدوا لـه رسـولا فطلب الطبيب مقـابـل ذلك ٢٠٠٠ جنيـه ذهبـا، وراتبا شهـريا يصرف طيلـة حياتـه. ومنحــه لقب «شريف» وادخـــالــه في عـداد النبلاء فكان له ما اراد وانقذ الملك .

واليـوم تعـد مـركبــات الكينـا هي خط الهجوم الأول على الملاريا. ومنها الكلوروكين والبريماكين. مع ضرورة الانتباه إلى العــلاج الـداعم للمريض (سـوائل، فيتامينـات، نقل دم بحذر في حالات فقر الـدم، تغذية جيدة). وعــلاج المشاكل المرافقـة كالاختـلاج وفشل عمل الكلية وغياب الوعي .

Science Photo Library - London

صورة مجهرية لكريات الدم الحمراء في الجسم، وتبين الهالة الحمراء الصغيرة في يسار الصورة العلـوي الكريات المصابة بالملاريا، ومن المعروف ان طفيليات الملاريا تهاجم الكبد ثم كريات الدم الحمراء مما يسبب الوهن والحمى للمريض .

مشكلة علاج المــلاريا هي العنـاد :

تكمن مشكلـة علاج الملاريـا في مقاومـة طفيلي الملاريـا لــلأدويـة . حيـث لا تفيـد مركبـات الكينـا. وهناك طرائـق بعضها مـا يـزال في طـور الاختبـار للتغلب على طفيلي الملاريا منها :

* العلاج بحبوب تدعى Fancidar .

* ذكـــرت بعض المجــلات عقــــار (الايميبرامين) مضـاد الاكتئـاب المعـروف. ولم يتم تأكيد ذلك عند حيوانات الاختبار .

* يوجـد دواء تترانـدرين Tetrandrine المشتق من نبـات طبي صينـي قـديم . حيث وجد ان المقاومة نـاجمة عن جزيء بروتيني كبير يعمل على دفع الدواء مـن داخل الخلية إلى خـــارجهـــا شبيهـــا لما يحدث في بعض حـالات السرطـان المقـاومة لـلأدويـة. امـا الدواء فيعمل على كبح فعالية هذا البروتين، ومن ثم يفسح المجـال للـدواء الاسـاس كي يقـوم بعمله وعقـار التترانـدرين مشتق من نبـــــات Satephania Tetrandra ذي الجذور المفيـدة في عـلاج التهـاب المفـاصل وآلام الظهر. بينما يفيد العقـار ذاته في فرط التـوتـر الشرياني وامـراض القلب (يشبـه دواء Verapamil) .

طـرق الوقـاية :

* الوقـايـة الكيماوية : اعطـاء مضادات الملاريا للذين يزورون مناطـق موبوءة يوميا خلال اقامتهم ، ولمدة ٦ أسـابيع تالية. ذلك لأن الـوسـائل الاخـرى التـي سنـذكـرهـا لاتكفي. ويجب ان نتوقـع الملاريا إذا ارتفعت الحرارة خـلال هـذه الفترة. واهم الأدويـــة المستعملـــة في الوقايـــة (كلــوروكين - دارابريم) .

* منع وصـــول البعــــوض إلى الجسم ، باستخـدام النـامـوسيـات خـلال النـوم . ووضع المناخـــل (شبــك معدنـــي ناعـــم) على النوافــذ. وعــــلى فـوهــات مواســير تهويـة خـــزانات الماء. وهـنـــاك مــــواد منفـــرة للبعــــوض تـدهن عـــلى الجسم،

وهذه تستعمل خاصة في اثناء النزهات .

* القضاء على أماكن تكاثر البعوض : كتجفيف المستنقعات والمياه الراكدة في احواض النوافير، واحكام تغطية خزانات مياه الشرب، وعدم تخزين الماء في احواض مكشوفة، وتفريغ وتنظيف احواض واوعية مياه شرب الحيوانات بشكل منتظم، وتغطية الآبار .

* محاربة البعوض بالمبيدات الحشرية ، والابادة البيولوجية.

* اللقاح وهو امل جديد .

علما ان البعوض يعتاد على المبيدات. فما كان مفيدا هذا العام لا يفيد في العام التالي. ومن ثم يعكس الحفاظ على اعداد قليلة من الاصابات جهودا كبيرة. لأن اهمال البعوض يعني تكاثره الهائل. وفي الفترة الأخيرة بدأت بعض المنظمات تتساءل عن جدوى استخدام المبيدات الحشرية في العالم المتمدن، لأنها تخل بالبيئة وتهدد طبقة الأوزون. فعند رش المبيدات بالطائرات. تتلوث المزروعات التي تتغذى عليها العصافير والطيور والماشية والانسان. وعلى الحشرات، وعلى تخليق نباتات وجراثيم تلتهم الحشرات. من اجل حماية البيئة .

اللقاح أمل جديد :

هذا ما حدثتنا به الصحف . فقد تمكن طبيب كولومبي من ايجاد لقاح للملاريا، إذ تعرّف إلى تركيب جزئيات البروتين الموجودة في طفيليات الملاريا. باستخدام الحاسوب، ومن ثم قام بتركيب اللقاح المشابه لهذه البروتينات. حتى إذا ما حقنها أدت إلى استنفار جهاز المناعة الذي يولد الأضداد المناسبة. وبالطبع إذا اصيب المرء بالملاريا فإن الاضداد جاهزة للمقاومة. واللقاح رخيص الثمن لكن يحتاج عدة سنوات كي يتوافر عالميا. انه حقا سبق علمي مثير للدكتور «مانويل باتوريو» نأمل له النجاح في القضاء على مرض مستعص ■



أنثى بعوضة الملاريا خلال وضع البيض الذي يتخذ شكلا دائريا، ويبقى عائما فوق الماء في مجموعات كبيرة حتى يحين موعد تفقيسه .

إبادة البعوض وأضرار المبيدات الحشرية :

ان محاولة ابادة البعوض في المناطق الموبوءة باءت بالفشل لذلك يبدو ان القضاء على الملاريا نهائيا امر صعب ما لم ينتشر اللقاح. لقد قلت الاصابات كثيرا في بعض المناطق نتيجة استخدام المبيدات الحشرية. كثير منها تتغذّى الصقور والنسور والغربان والحيوانات اللاحمة والانسان. الأمر الذي يؤدي إلى وفاتها مما يعني اختلال التوازن البيئي والحيواني وربما الانساني. وتتكاثر انواع غريبة من الديدان والفئران، لهذا تعتمد الابادة الحديثة على تسليط الاعداء الطبيعيين

كتب معداة



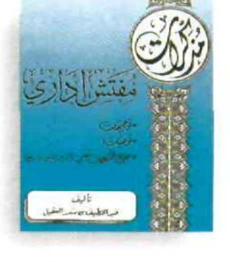
* « قاموس القرآن الكريم - معجم النبات » ، كتاب قام باعداده وتحريره مجموعة من المتخصصين برئاسة عبدالله يوسف الغنيم، وصدر عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي في ١٣٨ صفحة من القطع الكبير. والكتاب يحتوي على مداخل تعرف بالمصطلحات النباتية التي وردت بالفاظها في القرآن الكريم وتهدف إلى الربط بين اخراج النبات من الأرض وبين احياء الموتى، والنظر إلى الطعام كآية من آيات الله ونعمه.



* « ديوان السبع السيارة النيرات » لمؤلفه ابن حجر العسقلاني، دراسة وتحقيق محمد يوسف أيوب، صدر عن نادي ابها الأدبي في ٣١٢ صفحة، ويتضمن الكتاب مقدمة وافية عن حياة العسقلاني وصفاته وأسفاره ومذاهبه وتلاميذه واعماله ووظائفه، ومصادر شعره، ويتبع ذلك بثبت مدقق للقصائد السبع التي تراوحت بين الغزليات والموشحات وغيرهما من الأغراض.



* « ايقاعات على اوتار البيئة » ديوان شعر للمهندس محمد عبد القادر الفقي، صدر عن جمعية حماية البيئة الكويتية في ٨٤ صفحة، والكتاب يمتلىء بصور ودلالات التلوث الذي نجم عن حرب الخليج الأخيرة، ويحاول فيه الشاعر التوحيد بين العلم والأدب، واستخدام الكلمات والمعاني لمواجهة ما تتعرض له البيئة من انتهاكات ووسائل تدمير.



* « مذكرات مفتش اداري » من تأليف عبد اللطيف سعد العقيل، والكتاب يقع في ٢٦٨ صفحة، ويتعرض للمشكلات التي تواجه الادارات المدرسية، وبعض المعوقات التي تفسد العلم الاداري، ويبحث مسؤولية البيت والمدرسة في تنشئة الأجيال تنشئة صحيحة كما يتضمن بعض الصفات التي يجب أن يتحلى بها المفتش الاداري عند كتابة ملاحظاته المدرسية، والكاتب أمضى جلّ حياته العملية في التدريس والتفتيش الاداري بالمنطقة الشرقية.



* « مقدمة في علم التطور الحركي للطفل » من اعداد الدكتور عبد العزيز عبد الكريم المصطفى، صدر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض، في ١٧٦ صفحة وفيه يدرس المؤلف المبادىء الرئيسة للنمو والنضوج والتطور البدني والحسي والعقلي لدى الطفل، كما يتعرض للمهارات الحركية واللياقة البدنية عند الاطفال، واثرها في تنمية المعرفة والملكات العقلية لديهم.



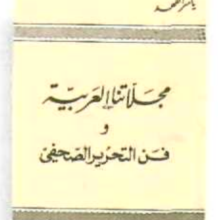
* «زيارة لبيت العنكبوت» من تأليف د. عبد الله محارب، صدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية، والكتاب محاولة لنقض بنيان كتاب محمد حسنين هيكل عن حرب الخليج.



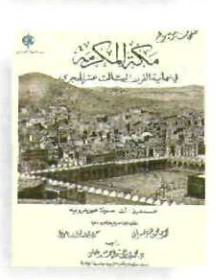
* « قيادة السيارة في الصحراء / دليل السلامة » تأليف: اندرو. بي. هارت، وصدر في ٩٦ صفحة من القطع الصغير، ويتضمن الكتاب ارشادات عملية لمن يقودون سياراتهم في الصحراء وطرق اعداد السيارة اعدادا سليما وتحديد المواقع والاتجاهات التي يقصدها السائق وما يتوجب عليه حمله من ماء وطعام وملابس، والكتاب مبني على خبرات ومعارف أناس قادوا سياراتهم في الصحراء.



* « الانسان والتفكير الايجابي » كتاب من تأليف الدكتور عيسى علي الملا ، وصدر في ١٨١ صفحة من القطع الصغير ، ويدرس فيه مؤلفه عناصر التفكير الايجابي وانعكاساته على حياة الانسان وتصوراته للنجاح، كما يتناول صورة الانسان تجاه ذاته وامكانات التغيير لديه، ويحدد عدة طرق للوصول إلى النجاح ومن ثم السعادة النفسية.



* « مجلاتنا العربية وفن التحرير الصحفي » للاستاذ ياسر الفهد، صدر عن دار البشائر في سورية في ١٣١ صفحة، ويتصدى الكتاب لبحث ظاهرة الصحافة العربية، وصناعة النشر ونواحي التجديد الصحفي، كما يتعرض لتاريخ بعض المجلات القديمة، ويعقد مقارنات بين صحافة الماضي وصحافة الحاضر من حيث تبويبها واخراجها ومضامينها.



* « مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري » وهو الجزء الثاني من كتاب المستشرق :ك. سنوك هورخرونيه، ترجمة محمد محمود السرياني، ومعراج نواب مرزا، ويقع الكتاب في ٥٦٤ صفحة وصدر عن نادي مكة الأدبي، ويشتمل على مقدمة مفصلة عن حياة المؤلف وآثاره ورؤاه الاستشراقية، ودوافعه، ورحلاته في الحجاز، كما يتحدث عن حياة سكان مكة والأجناس والأعراق التي استوطنتها، ويسهب في وصف الحج اضافة إلى العادات والتقاليد الاجتماعية واساليب التعليم في مكة المكرمة، والكتاب مزود بفهارس للاعلام والمواقع والأمكنة.



* « نظرية القرارات التجارية » من تأليف د. ابراهيم احمد مخلوف، صدر عن عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود بالرياض في ٢٥٨ صفحة ويتناول المفاهيم الاساسية لنظرية القرارات في المواقف التنافسية وغير التنافسية ، ومفهوم المنفعة ، وشجرة القرارات وجدوى المعلومات التجريبية، والكتاب مزود بأمثلة تطبيقية احصائية وافية، وكشاف بالمصطلحات المستخدمة.



* « بيان الاعجاز في سورة (الكافرون)» ، ألفه أبي الفتح ناصر المطرزي الخوارزمي، وحققه د. محمد ناصر الدخيل، ويتضمن الكتاب مقدمة عن سيرة المطرزي ومكانته العلمية وصورة لمخطوطة الكتاب ثم دراسة عن الاعجاز البلاغي في سورة «الكافرون».



أسئلة الشاعر القديم وحكمة الحياة

بقلم الأستاذ : محمد ابراهيم أبوسنة - مصر

إذا كانت الفلسفة الغربية تظلل بحيرتها وقلقها موقف الانسان من الحياة والوجود فقد كان هدف هذه الفلسفة هو الوصول إلى «الحكمة». وقد رأينا الشاعر العربي القديم يطلق اسئلته الحائرة في اتجاه اليقين رغم الحيرة والقلق البادبين في شعر ابي العلاء المعري وابي الطيب المتنبي حتى ليقول الأخير «على قلق كأن الريح تحتي»، وهو بهذا يصف حياته العاصفة وحركته الدائبة خلف يقين تقر به عينه، او راحة تمسك به بعيدا عن الخوف والوحشة ولكنه انتهى إلى يقينه الخاص .

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا … وعناهم من اسره ما عنانا
وتولوا بغصة كلهم منه … وان سر بعضهم احيانا
ولو ان الحياة تبقى لحي … لعددنا اضلّنا الشجعانا

كان الشاعر الغربي يغرس اسئلته في صميم الوجود، ضاربا في شعاب المجهول متسائلا على هيئة بيت شكسبير الشهير «تكون او لا تكون تلك هى القضية» اما الشاعر العربي فقد كانت تساؤلاته اقرب إلى الواقع المحسوس المتمثل في الفعل اليومي، وحركة الحياة في تفاصيلها البسيطة والمعقدة على السواء. ومنذ صرح طرفة بن العبد في معلقته قائلا :

الا ايهذا اللائمي احضر الوغي … وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ؟
فإن كنت لا تستطع دفع منيتي … فدعني ابادرها بما ملكت يدي
فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى … وجدّك لم احفل متى قام عودي
فمن هن سبقى العاذلات بشربة … كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكري إذا نادى المضاف محنبا … كسيد الغضا والنابه المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب … ببهكنة تحت الطراف المعمد

منذ صرح طرفة بسؤاله عن الحياة انهمرت الأسئلة عبر آلاف القصائد باحثة عن «الحكمة» أو اليقين. الذي وجده بعضهم في الشعر أو في الموت أو في الغنى أو في الحب أو في التقوى. أو فيها جميعا ويلفت النظر في اسئلة الشاعر القديم انها جميعا كانت لخدمة الحياة السعيدة وقد اتسم الشعر العربي في صدر الاسلام ثم العصر الاموي بالبعد عن الحيرة الفلسفية او الفكرية التي غلفت وجدان ومشاعر الشاعر الجاهلي، فقد كان تأثير الاسلام كاسحا في خلق يقين ديني مصحوب بتنظيم دقيق لأمور الدنيا والاخرة. ومع توسع الفتوحات الاسلامية في عصر الأمويين والعباسيين زاد اتصال العقل العربي بالفكر والتراث الفارسي من ناحية كما ساهمت الترجمة في مضاعفة هذا الاتصال بالفكر البيزنطي من ناحية ثانية ولكن الشعر ظل على ولائه لروح الشخصية العربية وروح اللغة وتراثها العريق. غير ان تدفق الأسئلة والبحث عن اليقين الذين يهتدي بالحكمة ظل في تصاعد واضح ابان العصر العباسي وما بعده خاصة في العصور التي واجهت فيها الحضارة العربية والاسلامية منعطفات حادة ومنذرة بالخطر. ففي مثل هذه المراحل رأينا ان «التأمل» في احوال الانسان قد اتخذ طابع التشاؤم في معظم الأحيان ومطالعة دواوين المتنبي وابي العلاء وابي تمام وابي فراس الحمداني وابي العتاهية تملأ نفوسنا شجنا وربما يأسا وقد يتخلى التساؤل عن موقعه للتقرير الجازم كما يقول الشريف الرضي :

راحل انت والليالي نزول … ومضر بك البقاء الطويل
لا شجاع يبقى فيعتنق البيـ … ـض ولا أمل ولا مأمول
غاية الناس من الزمان فناء … وكذا غاية الغصون الذبول
انما المرء للمنية مخبو … ء وللطعن تستجم الخيول
من مقيل بين الضلوع إلى طو … ل عناء وفي التراب مقيل
فهو كالغيم الّفته جنوب … يوم دجن ومزقته قبول

إذن فالانسان عند الشريف الرضي اشبه بسحابة شكلتها رياح الجنوب ومزقتها ريح الشمال . اما ابو العلاء المعري فقد كان اشد حسا حين قال في قصيدة يرثي فيها جعفر بن علي بن المهذب :

تجربـــــة الــــدنيـــــا وافعـــــالها	حثت اخـــــا الـــزهـــد على زهـــده
لــــو عـــرف الانســـان مقـــداره	لم يفخـــــــر المولى على عبـــــــده
امس الـــــذي مـــر على قـــربـــه	يعجـــــــز المولى على عبـــــــده

هل نقول ان الفلسفة الغربية قد احتشدت على لسان شعرائها في صيغة السؤال بينما نرى الحكمة عند شعراء العرب تأخذ شكل الجواب. لا يختلف الأمر كثيرا ذلك ان كل جواب هـو رد لسؤال والأسئلة العربية قـد تكون مضمرة اكثر من كـونها معلنة. والسبب في ذلك يرجع إلى أن الشاعر العربي في العصر الجاهلي كان لا يأمل في ان يجد ردا من أحد سوى نفسه فالصحراء الشاسعة المحيطة به كانت دائما ترده إلى نفسه. اما الشاعـر في العصر الاسلامي فقد وجد في العقيـدة الدينية يقينا لم يألفـه من قبل والهمته هذه العقيدة «يقين الجواب» اكثـر مما دفعته في دروب الحيرة. وربما كان هذا هو الفارق الأساس بين الشاعر الغربي الـذي يعذبه الشك وتضنيه الحيرة ويسلبه القلق راحة الطمأنينة فيبدو اقرب إلى الفنان الذي يتعامل مع الحياة من خلال انفعاله الحسي بها، وبين الشاعر العربي الذي يستند إلى يقين صلب فيبدو اقرب إلى الحكيم كما نرى من الأمثلة البارزة لشعرائنا، ولم يكن القول الشـائع عن المتنبي وابي العلاء بأنهما حكيمان وان البحتري هو الشاعر فقط، نابعا من رؤية سطحيـة لدور الشاعـر. لقد التفت الشاعـر القديم اذن إلى الجواب وهو جـواب يوصي بسؤال مضمن وانسحب هـذا الجواب على جوانب الحياة المختلفة ابتداء من فكرة الشاعـر عن الحياة وهي فكرة تأخذ طبيعتها من نوعية التجربة التي مـر بها الشاعر سواء أكانت سعيدة أم بائسة، وهـذا شاعر ليس ذائع الصيت يطرح اجـاباته الحكيمة حـول الحياة والصداقة. انـه الشاعر الغزي ابـو اسحق ابراهيم ابن يحيى بن عثمان الكلبي الاشهبي الغـزي، ولد بغـزة سنة ٤٤١هـ وتوفي سنـة ٥٢٤هــ ودفن ببلخ. دخل دمشق وسمع بها من الفقيه نصر المقـدسي ورحل إلى بغداد واقـام بالمدرسة النظـامية سنين كثيرة. مدح ورثى ثم رحل إلى خـراسان وامتدح بها جماعة من رؤسـائها قال عنـه ابن خلكان «شاعر محسن وله ديوان اختاره لنفسه وذكر انه يحتوي الف بيت من الشعر ولعل اشهر شعره الذي يسير مسرى الأمثال قوله عن الحياة :

انما هـــــذه الحيـــــــاة متـــــاع	والسفيــــــه الغبـي مـن يصطفيهـــــا
مــــــا مضـى فـــــــات والمؤمل غيـب	ولك الســــاعــــــة التـي انت فيهـــــا

ويبدو ان هذا الشـاعر الذي امل طـويلا في ان يجد في الشعر سبيلا إلى الحياة الكـريمة قد خاب املـه على كثرة ترحالـه إلى دمشق وبغداد وخراسان وبعد ان جعل الشعر مطية إلى حـاجاته عاد إلى الشعر يبثه آلامة وحنينه، وهذا هو الشعـر الحقيقي، انه الشعر الذي يكون صورة للمعانـاة والصدق في اسلوب يتسم بـالجمال الفني الذي يعتمد على التصـوير والقـدرة على التعبير حيث يرى ان الحياة قـد طبعت على الغدر ولكن لا مناص من الصبر على محنها، يقول الغزي :

ويل الــــذي ملك الــــدنيـــــا وضن بها	حمل الـــــــدنيـــــا على كتفـــــه
بـالشيب فـارقني ذهني ولا ثمـرمضى ومـا	في العـود بعـــد اشتعـال النـار في طـرفـه

أما التأمل العميق لهذا الشاعر في الحياة فقد عبرت عنه ابياته التي يقول فيها :

مـــا الـــدهـــر الا ســـاعتـــان تعجّب	فيما مضـى وتفكـــــــــــــر فيما بقـي
ولكـل شــيء مــــــــــدة فـإذا انقضـت	الفيتـــــــــه وكأنـــــــــه لم يخلـقِ
والمرء اتعـب مـــا يكــــون إذا ابتغـى	سعـــة المعيشـــة في الـــزمـــان الضيقِ

وينظر الشاعر نظرة حميمة إلى الأمور حين يرى ان الاساس الذي تبنى عليه الاشياء هو الذي يحكم طبيعة هذا البناء. يقول الغزي :

على الأسى يبنـي كل شــيء ســـوى المنى	فليس لما تبنيــــه فيهـــا قـــواعـــد
وتختلف الأغـــراض بـــالنــاس في الهوى	فكل إلى مـــا قـــاده الطبـع قـــاصـــد
فيهـوى الـــدمى من هـز اعطـافـــه الصبـا	ويهوى العــــلا من شيبتــــه الشــــدائد
بـــرتنــا الليـــالي إذ دهتنـا خطـــوبها	كأنـــا حـــديـــد والليـــالي مبـــارد

وفي مواجهة تقلبات الأيام فإن الشاعر لا يريد لـلانسان ان يقعد بينما يسير كل شيء انه يدعو إلى الحركة والفعل الانساني لأنه لا شيء يأتي من العدم ولا شيء يحدث من نفسه ببساطة «لا شيء من لا شيء» يقول الغزي :

بمسيرة نقـــــــــــــــص الهلال وزادا	فـــاجعل كـــراك إذا اعتـــزمت سهـــادا
لـــولا انصـــلات البيض مـن اغمادهـــا	محوزة لم تفضـــــــــــــــل الا غمادا
مـــــا العمـــــر الا راحل واظنـــــه	اتخذ الشبيبــــة للمســـــافـــة زادا

هو يـرى ان اولى من تجاور بالفراق هما رأس فارقهـا السواد فصارت بيضـاء وهو كناية عـن الشيب وعين فقدت سوادها فصـارت عمياء. فالشيب والعمى آفتان لا تصلحان مع الحياة ورغم ان الشاعر يـؤمن بالسعي والعمل والفعل والحركة فهو في زمنه الضيق قد يجد ان السعي

يخيب وان العمل لا يكلل بالنجـاح وان الفعل قد يفضي إلى العدم، والحركة قـد تكون خاوية من الثمرة الحلـوة فيعود إلى الايمان بما قسم الله تعالى من السعادة أو الشقاء. يقول الغزي :

خليلي ان نـــادمتماني فقـــربـــا ... عتـــاق المذاكي لا الـــرحيق المعتقـــا
ولا تثقــلا جيــدي بمنـــة جـــاهل ... اروح بها مثـل الحمام مطـــوقـــا
عــرفت الغنى بــالفقـر والفقــر بــالغنى ... ومن صحـب الايـــام اثـــرى واملقـــا
هــو الجد يخفى طلعـة البـدر بـالسهـا ... وينصر من يهذي فنـــدعـــوه مغلقـــا

وقد ادى به سوء حظه إلى السكوت حتى ليقول :

قـــالــوا هجــرت الشعــر قلت ضرورة ... بـــاب البـــواعـث والـــدواعـي مغلق
خلت البـــلاد فـــلا كـــريم يـــرتجي ... منـــــه النـــــوال ولا مليم يعشـق

واذا كان جانب من اسئلـة الشاعر القديم قد انصبت في صـورة اجابات عن الحياة والكدح فيهـا فان من الطبيعي ان تجيء بعض الأسئلة المضمرة حول علاقة الانسان بأخيه الانسان وقد تلونت هذه العلاقة عند الشاعر الحكيم بحالته النفسية فبينما دفعت المرارة شاعرا كالمتنبي إلى أن يعلن على الملاء يأسه من الانسان حين قال :
نرى ابا العلاء المعري يرى :

ومن عـــرف الأيـــام معـــرفتي بها ... وبـــالنـــاس روّى رمحه غير راحـم
فـــلا هـــو مـــرحـــوم إذا قـــدروا لـــه ... ولا في الـــردى الجاري عليهم بـــآثـم

بل ان بشار بن برد يدعو إلى التسامح مع الاصدقاء وقبولهم كما هم يقول :

اجـــدر النـــاس بـــالـــرحمة ... قـــــــــوم في اصلهـم رحماء

إذا كنت في كـل الأمـــور معـــاتبـــا ... صـــديقك لم تلـق الـــذي لا تعـــاتبـــه
فعش واحـــدا او صـل اخـــاك فإنـــه ... مقـــارف ذنب مـــرة ومجانبـــه
إذا انت لم تشرب مـــرارا على القـــذى ... ظمئت وأي النـــاس تصفـو مشـــاربـــه

إنّ بشـار يدرك ادراك البصير «وهـو الاعمى» ان من لا يصبر على الصـديق في هفـواته التي هي مـن ضرورات الحياة سيحكم على نفسـه بالعـزلة والوحـدة والانفراد لأن من طبع الصديق ان يهفـو ومن طبع الصداقـة التسامح. ويضع بشار تجربتـه في صورة شبه منطقيـة. صورة مقارنة بين الصبر والاحتمال أو الـوحدة والانعزال وهو يستخلص من تجاربـه عبرة العبر «اي الناس تصفو مشاربـه ؟!» والاستفهام انكاري بمعنى ان احدا من النـاس ليس مطلق الصفاء ولا مطلق الاخاء ولا مطلـق الصواب وليس كذلك مطلق الخطأ ثم يخطـو بشار خطوة جـديدة تجاه الصديق حين يقول :

خير اخـــوانك المشـــارك في السر ... واين الشريـــك فـــي المـــر أينـــا
الـــذي ان شهـــدت سرك في الحيّ ... وان غبـت كـــان اذنـــا وعينـــا
مثل سر اليـاقـوت ان مسّـه النـــ ... ـــار وجـلاه البـلاء فـازداد زينـا :
انـــت في معشر إذا غبـــت عنهـــم ... بـــدلـــوا كـل مـــا يـــزينك شينـــا
وإذا مـــا رأوك قـــالـــوا جميعـــا ... انـت من اكـــرم البرايـــا علينـــا

ثم يختم رأيه بهذا الحسم المؤلم :

لا ارى لـــلانـــام ودّا صحيحـــا ... عـــاد كل الـــوداد زورا ومينـــا

ويشتط ابو العتاهية في وضع معيار مثالي للصداقة حين يقول :

ان اخـــاك الصـــدق من كـــان معك ... ومـــن يضر نفســــــــه لينفعـك
من إذا ريـب الـــزمـــان صـــدعك ... شتـت فيـــــه شملـــــه ليجمعـك

ولاشك في ان ابا العتاهية قد بالغ في طلب صديق لا نراه كثيرا في حياتنـا الواقعية وربما كان يتصور كشاعر مثالا مطلقا للنبل والاخلاص .

وربما كان اكثر توازنا حين قال :

مـــــا انـــــا الا لمن يعـــــاني اری خليلي كما يـــــــــــراني
مـن الـــذي يـــرتجي الأقـــاصي ان لم تنـــــــــل خيره الأداني
لسـت ارى مـــــا ملكت طـــــرفي مكـــان مـن لا يـــــرى مكـــاني

فإذا انتقلنا إلى ابي تمام وجدناه يرى الصديق في صورة نقية وربما كـان رؤيته اكثر تركيز على الاعماق وهي تختلف عن الرؤية الخارجية لأبي العتاهية . يقول ابو تمام :

مـن لي بــــانســـــان إذا اغضبتـــــه وجهلت كـــــان الحلم رد جـــوابـــــه
وتـــــراه يصغي للحـــــديث بقلبـــــه وبسمعـــــه ولعلـــــه ادرى بـــــه

انـه يبحث في الصديق عن الخلق الطيب الـذي يجازي الاساءة بـالاحسـان. ويسعد صـديقه بسعـة صدره وقـوة احتماله واسراعـه إلى المؤانسة والمشاركة. فإذا حدثته استمع إلى حديثك بقلبه ويقول ابو تمام ايضا :

اولى البريـــــة حقـــا ان تـــراعيـــه عنـــد السرور الــــذي آســـاك في الحزن
ان الكـــرام إذا مـــا اسهلـــوا ذكـــروا من كـــان يـألفهم في المنـــزل الخشـن

اما ابن الرومي فهو يجري على عادته من التشاؤم والبعد عن الناس والخوف منهم حيث يقول :

عـــــدوك من صـــــديقك مستفـــــاد فـــلا تستكثـــرن مـن الصحـــــاب
فـإن الــــداء اكثـــر مـــا تـــــراه يحول مـن الطعــــــــام او الشراب
إذا انقلب الصـــديـق غـــدا عـــدوا مبينـــــا والأمـــور إلى انقـــلاب
ولـــو كــــان الكثير يطيب كـــانـت مصـــاحبـــة الكثير من الصـــواب

ولكن ابن الرومي هـو نفسه الذي يدقق النظـر في الطبيعة البشرية حين يـرى ان على المرء الا يأخذ بتقلب اللسان ما دام القلب ثـابتا على مودته ويقول في هذا :

اتـــاني مقـــال مـن اخ فـــاغتفـــرتـــه وان كـــان فيما دونـــه وجـــه معتب
وذكــرت نفسي منـــه عنـد امتعـــاضـه محاسن تعفـــو الــذنـب عن كل مـــذنب
فعـــذرك مبســوط لـــدينـــا مقـــدم وودك مقبــــول بـأهل ومـــــرحـب
ولست بتقليـب اللســـان مصـــارمـــا خليلي إذا مــــــا القلـب لم يتقلب

وينظر المتنبي إلى الصداقـة نظرة الشك والريبة وهو يضع قاعـدة ذهبية للصفاء الانساني تقوم على اختبار المعـدن في الشدائد والنوائب. انه يرى ان الود قد صـار خداعا براقا فلما صار الأمر كذلك ذهب الشاعـر إلى مجاراتهم فيجزى على الابتسام بالابتسام دون ان يعبر ذلك عن ود مكين، يقول المتنبي :

ولما صـــــار ود النــــاس خبـــــا جـــزيت على ابتســـام بـــابتســـام
وصرت اشـك فيمـن اصطفيــــــــه فعلمـي انــــــه بعـض الأنـــــام
يحب العـــاقلـــون على التصـــافي وحـب الجاهلين على الـــوســـــام
ولم ار في عيـــوب النـــاس عيبـــا كنقـص القـــــادريـن على التمام

اما ابوفراس الحمداني فيقول معبرا عن خيبة امله في الاخر :

لا اشتري بعـــد التجـــارب صـــاحبـــا الا وددت بـــــأننـــــي لم اشره
وتـــركت حلـــو العيش لم احفل بـــه كـــالصقـــر ليـس بصـــائد في وكـــره

ان الاسئلة الشعرية لدى الشاعر العربي القديم ظلت مضمـرة حتى يظهر الجواب اقرب إلى الحكمة والموعظة الحسنة. كانت الأسئلة في العصر الجاهلي اقرب إلى النفـي بينما اصبحت بعد الاسـلام اقرب إلى الايجاب . وضاق الـزمان واتسـع بالشعراء فكـانت اشعارهـم تجسيدا لزمانهم الذي اعلن المتنبي في النهاية يأسه منه قائلا :

لا تلـق دهـــــــــرك الا غير مكترث مـــا دام يصحب فيـــه روحك البـــدن
فما يـــدوم سرور مـــا سررت بـــه ولا يـــرد عليـك الفـــائت الحزن
مـــا كل مـــا يتمنى المرء يـــدركـــه تجري الــريـــاح بما لا تشتهـي السفن

إذن كان الشـاعر العـربي اقرب إلى الحكيم الذي يطمئن إلى مـا يقول لا إلى الفيلسوف الـذي يحدوه الشك في كل شـيء فينتهي إلى الحيرة والقلق كما نرى عند شعراء الغرب. ان حكمة الشاعر العربي تنهل مـن تراثه الديني وتتجلى في تقرير نهائي للحقائق ويبقى التساؤل حائرا إذ ليس هناك قرار اخير لحقيقة واحدة من حقائق الوجود ■

متنزه "ورمبنجل" الاسترالي
سجل للحفريات الحية

استطلاع وتصوير: الأستاذ أحمد ابراهيم البوق
المركز الوطني لابحاث الحياة الفطرية - الطائف

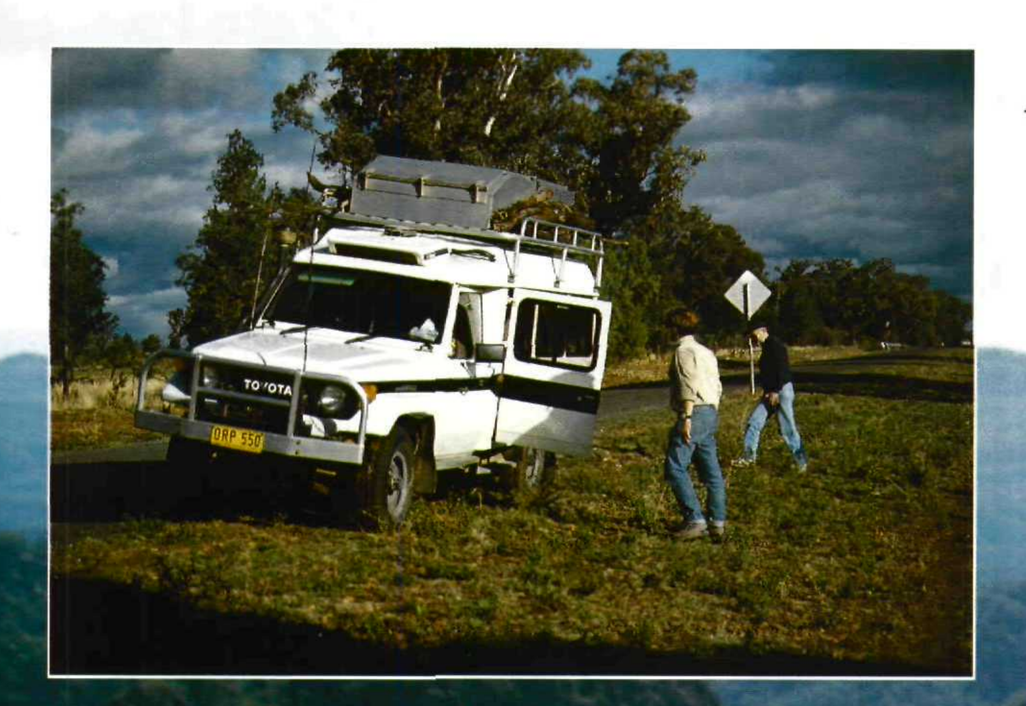
إذا اردنا استقراء التاريخ الطبيعي الاسترالي، لابد ان نعود إلى ملايين السنين، حين كانت القارة الاسترالية متحدة مع الهند وقارتي افريقيا وامريكا الجنوبية.

لقد بدأ انفصال أفريقية قبل ١٦٠ مليون سنة، وتلاها انفصال الهند قبل ١٢٥ مليون سنة، وتحركت شمال المحيط الهندي، واتصلت بقارة آسيا قبل ٥٥ مليون سنة، ونتج عن اصطدامها بالقارة الآسيوية تشكّل جبال «الهملايا» التي تضم قمة «افرست» اعلى قمم العالم، ثم استمرت استراليا وهي الجزء المتبقي من الكتلة الأرضية الجنوبية في الابحار في المحيط الهندي شرقا بما عليها من نبات وحيوان إلى أن وصلت إلى موقعها الذي هي عليه اليوم في جنوب آسيا بين المحيط الهندي والمحيط الهادي، وبقيت هذه القارة خالية من الجنس البشري إلى أن وصلها السكان الأصليون الموجودون حاليا وذلك قبل ما يزيد على ٤٠,٠٠٠ سنة وعاشوا بمعزل عن العالم. إلى أن اكتشف الملاح الانجليزي «جيمس كوك» ساحلها الشرقي وطالب به رسميا لبريطانيا عام ١٧٧٠م، وقد كان عدد السكان الاصليون وقتئذ ٣٠٠,٠٠٠ نسمة وتناقصت اعدادهم مع دخول الانسان «المتحضر» لهذه القارة إلى أن وصل إلى ١٤٠ الف نسمة يعيش معظمهم في مناطق منعزلة في شمال وغرب قارة استراليا بشكل بدائي ولهم تراث انساني عريق يرجع إلى تاريخ استيطانهم هذه القارة.

ان كثيرا من حيوانات استراليا الثديية ما تزال بحالتها البدائية ولبعضها صفات مشتركة مع الزواحف قبل أن تنفصل عنها قبل ١٨٠ - ٢٥٠ مليون سنة، فهناك حيوانات تضع بيضا، وبعضها الاخر يضع اجنة يكتمل نموها في اكياس خارجية، وتنقسم طائفة الثدييات في العالم إلى ثلاثة اقسام هي:

الأول: ثدييات واضعة للبيض: توجد في

متنزه ورمبنجل من أعلى المطلات، وتبدو الصخور العالية وسط الغابة.



جمع الحطب في الطريق إلى المحمية .

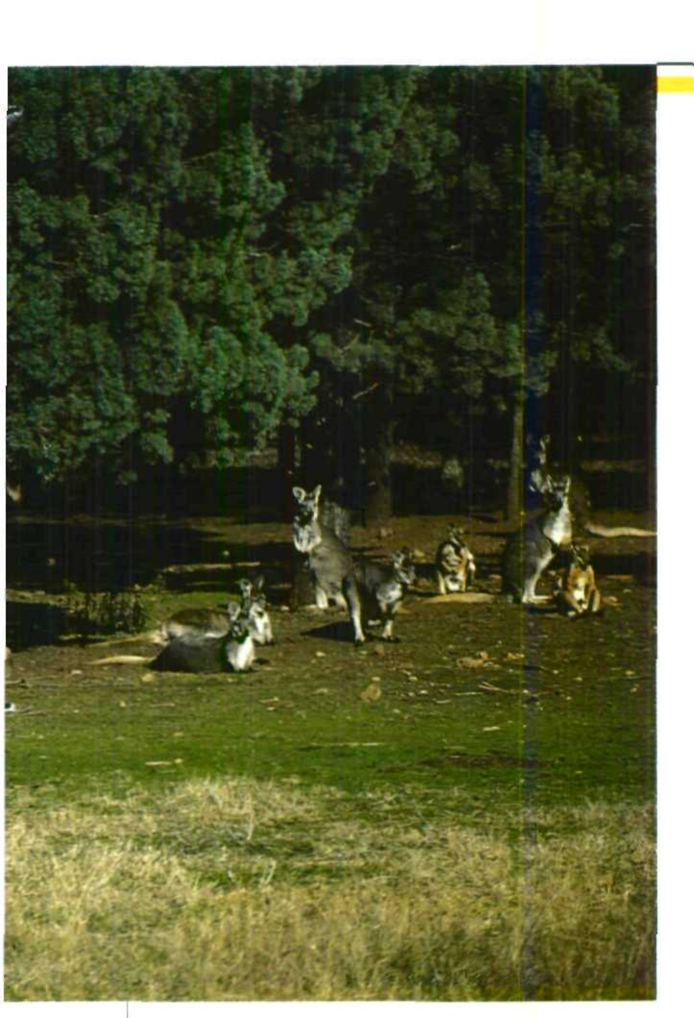
استراليا ونيو جويانا New Guinea فقط ومنها نوعان متبقيان هما «خلد الماء» او منقار البط Platy - Pus ، والقنفذ آكل النمل أو النضناض Echidna ، ولهذه الثدييات البدائية مخرج واحد لأعضائها التناسلية والبولية والهضمية .

الثاني: ثدييات كيسية : ويوجد ثلثا انواع هذه الثدييات في استراليا والباقي في امريكا الجنوبية، وتضع هذه الثدييات اجنة غير مكتملة النمو وتكمل نموها داخل كيس خارجي، ومن اشهر انواعها حيوانا استراليا الشهيران الكنغر والكوالا .

الثالث: ثدييات حقيقية : وتتبع لها جميع الثدييات الاخرى في العالم بما فيها بعض ثدييات استراليا . وتمتاز هذه الثدييات باكتمال نمو اجنتها، وهو حال معظم الثدييات بما فيها الانسان .

وتمثل الثدييات الاسترالية ما نسبته ٥ - ٦٪ من أنواع الثدييات في العالم . ويوجد من بين ٧٢٠ نوعا من الطيور المسجلة في القارة الاسترالية، ٣٢٩ نوعا مستوطنا في استراليا ولا يوجد في اي بقعة في العالم خارجها، ومن اشهر هذه الطيور المميزة للقارة الاسترالية طائر « الايمو Emu » الذي يصغر طيور النعام بقليل وهو من الطيور غير القادرة على الطيران وقائمة طويلة من الببغاوات الاسترالية الزاهية الألوان Parrots.

وكذلك الحال بالنسبة للزواحف والبرمائيات ففيها نوعان من التماسيح وسلاحف الماء العذب، وعدد كبير من السحالي، واكثر من مائة نوع من الثعابين، وتشتهر القارة بثروة من انواع الحيوانات السامة منها ثعبان النمر القاتل وبعض العناكب السامة .



أما بالنسبة للنباتات فقد تميزت القارة بغابات الكافور التي يـزيد عـدد انـواعها عـن ٦٠٠ نوع، ولأشجار الكـافور قـدرة عجيبة على النمو في الظروف القاسية، وقد يصل طولها إلى ٩٨ مترا. ويقال ان اطـول شجرة كـافور قطعت قبـل قرن من الـزمان كـان طولها ١٥٠ مترا، وكـذلك الحال بالنسبـة لتنوع اشجـار السنط وغيرها من النباتات البرية .

كان الوقت بداية شهر يـوليو وكنت قادما من هجير لا يرحم، من مهمة حقليـة على اطراف صحراء الـربع الخالي، وقد اقلتني الطـائرة إلى شرق آسيـا ومنها إلى استراليـا، وبعـد ثماني عشرة سـاعة من الطيران، وقبل ان اهبط في مطـار سيـدني كان مـؤشر الحرارة الخارجية على شاشـة متلفزة داخل الطائرة يقترب من الصفر . دهشت لذلك ! كنت اعـرف ان صيفنا شتاء هنا والعكس صحيح لكنني لم اتـوقع هـذه البرودة المفـاجئـة، وفي اليـوم الخامس، وبعـد انقضـاء المؤتمر الـدولي لعلم الحيـوان الـذي شاركت في فعـالياتـه، كانت سيارة ربـاعية الـدفع مجهزة بشكل مطمئن تعبر بي مدينة سيدني متجهة ناحية الشمال الغربي .

وعلى مـرتفعـات الجبـل الأزرق تـوقفنـا قليـلا لنستمتع بمشـاهـدة غـابات اشجـار الكـافـور والسحـاب يغسل خضرة اوراقها الداكنـة، من مطلات شاهقة الارتفـاع، وكانت الببغاوات الاسترالية شـائعة في هذه المنطقة، ثم تـوقفنا ثانيةعنـد كهوف ولنجتون Wellington Caves ، المتلئـة بعظام الحيـوانـات المنقـرضة وكـان علينـا الـدخول إلى تلك الكهـوف حبـواً لضيق ممـراتها، ومن الصعب تكوين تصـور عن الاحيـاء المنقرضـة من اجـزاء العظـام المتناثـرة في الكهـوف، ولابـد من زيـارة للمتحف المجـاور لهذه الكهـوف لتكتمل الصورة. ثـم توجهنـا إلى متنـزه «ورمبنجل » الـوطني وهـو اشبـه بقارورة شفّـافـة من زمـرد، خضراء، فمراعي اغنام «المرينو» الذائعة الصيت – التي طورت الاقتصـاد الاسترالي – منتشرة على طـول الطـريق، فـاستراليـا لديها مـا يعادل ١٨٠ مليون رأس من الأغنام، وتنتج مـا يعادل ثلث احتياج العالم من الأصواف العالية الجودة.

كـان فريق الـرحلة يتكـون من خمسة اشخـاص اضافـة إلى مرشدين سياحيين احـدهما متخصص في علم الأحياء والاخر في علم الجيولـوجيا، اضفى هـذا التناقض في التخصصات طـرافة على اجـواء الـرحلة، ففـي حين يكون متخصص الجيـولـوجيا مشغـولا في الشرح عن طبقات الأرض التـي نمر بها وتشكـلاتها كـان متخصص الاحيـاء يقـاطعه عنـد مـرور طـائر في الجو، او مصادفة كنغر نافر، او ثعلب يقطع الطريق، وكان اعضاء الرحلة من مناطق متفـرقة من العـالم، احدهم بريطـاني، والاخر المانى، والثالث من جنوب افـريقيا، والرابع من تايلنـد، وانا من الجزيرة العربية. كان المساء على غابـات الكافور كخيمة مدت اطنابها في الفضاء، وقد ادركنا الظلام في مدينة «دبو Dubbo » وكان علينا قضـاء الليلـة بها. وقبل ان يـرتفع قـرص الشمس من غـابـات الكـافـور كنا نشـق طريقنـا إلى متنـزه ورمبنجل الـوطني، وفي الطريق توقفنا لجمع اعواد الحطب فـالليلة سنكون احوج اليها من الغطـاء، إذ أننا سنقضيها في مخيمات داخل المحميـة، التي



الكنغر الرمادي في فترة استرخاء .

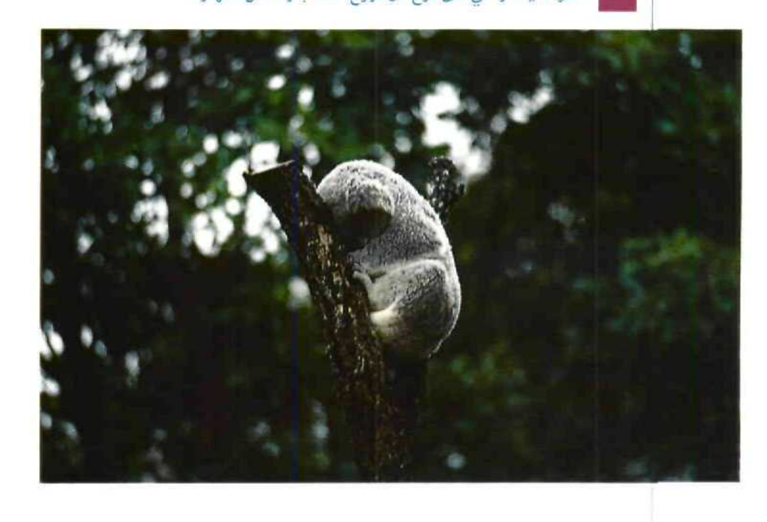


الكنغر الرمادي ، اكثر انواع الكنغر انتشارا في المحمية .

تقترب درجة الحرارة فيها من الصفر، كانت اشعة الشمس تبعث الدفء في الروح، وعلى مشارف متنزه ورمبنجل كانت قطعان الكنغر Kangaroos وهو من الحيوانات البدائية المميزة للقارة الاسترالية، تتقافز على المسطحات الخضراء. كان النوع الذي صادفنا هو الأكثر شيوعا، وهو الكنغر الرمادي الشرقي Easter Grey Kangaroo واسمه العلمي Macropus Giganteus وهناك انواع تشبه الكنغر ولكنها اصغر منه حجما تسمى ولابي Wallabies ومن الصعب التفريق بينها وبين الكنغر فهذه اوزانها لا تتجاوز ٢٠ كيلوغراما، وتستوطن البيئات المنحدرة، في حين قد يصل وزن الكنغر الأحمر - على سبيل المثال إلى - ٨٥ كيلوغراما ويفضل الكنغر البيئات المنبسطة. وهناك انواع من الكنغر تتسلق الاشجار، وقد يزيد اطوال بعض انواع الكنغر عن المترين، وتتزايد أعدادها بشكل كبير جعلها تصنف ضمن الآفات الزراعية، إذ يقتل منها سنويا ما يزيد على المليون حيوان، وهناك انواع عديدة منها تكيفت على بيئات مختلفة من غابات إلى صحاري وبعضها يشرب من مياه البحر، ويتوالد الكنغر طوال العام، مع زيادة ملحوظة خلال فصل الصيف، وتتعارك الذكور احيانا من اجل الحصول على الأناث، التي تضع مواليدها بعد ٣٦ يوما من التلقيح، يكون وزن الجنين ٨٠٠ ملغم فقط ليخرج بعدها الجنين للكيس الخارجي، ليرضع من ثدي امه، ولا يفارق الكيس لمدة اربعة اشهر، يمكن بعدها للأنثى ان تتلقح ثانية، ثم يبدأ الرضيع بمغادرة الكيس بعض الوقت عندما يصل عمره إلى تسعة اشهر ولكنه يستمر في الرضاعة إلى سن ١٨ شهرا .

كان منظر الكنغر وهو يجوب ارجاء المحمية المنبسطة يبعث البهجة. ونحن الآن في محمية ورمبنجل على بعد ٥٠٠ كيلومترا شمال غرب مدينة سيدني وتحديدا ٣٣كم غرب مدينة كونابارابران Coonabarabran ، وتمتاز هذه المحمية بتنوعها النباتي والحيواني والطبوغرافي كذلك، وتقدر مساحة المحمية بـ ٢٠٩١٤ هكتارا مربعا ممتدة على جبال ورمبنجل التي تشكلت من درع بركاني حدث قبل ١٣ - ١٧ مليون سنة، وقد اتاح التنوع الطبوغرافي في التربة والاختلافات الحادة في المناخ بين الصيف والشتاء تنوعا نباتيا متميزا إذ سجل في آخر الاحصاءات ٥٥٠ نوعا من النباتات التي تستوطن المحمية، وتسود فيها اشجار الكافور ذات الروائح العطرية المميزة، وبها العديد من الثدييات كالكنغر والكنغر الصغير «ولابي» و«الكوالا» وبعض الثدييات البدائية مثل آكل النمل المشوّك، اضافة إلى ١٨٥ نوعا من الطيور اشهرها طائر استراليا المميز الايمو وانواع من العقبان والصقور والببغاوات .

الكوالا يسترخي على فرع من فروع الاشجار خلال النهار .



كان منظر غروب الشمس على جبال ورمبنجل اشبه

بقصيدة كتبت للتو، وكنا قد نصبنا خيامنا في منطقة خاصة بالتخييم، وبدأنا باشعال الحطب - الذي ينبغي جلبه من خارج المحمية - وبدأ بعضنا الطبخ، فمن حسن حظنا توقف المطر هذا المساء، تحلقنا حول النار، وبدأ كل منا بسرد تفاصيل عن حياته وبلاده وعاداتها وتقاليدها، وقبل ان يخبو وهج الجمر كنا نتمدد في خيامنا مستسلمين للنوم، وقد ايقظني البرد والكنغر - الذي ينشط ليلا - اكثر من مرة ذلك المساء .



الكوالا في لقطة نادرة في اثناء محاولته تغيير موقعه من شجرة لأخرى .

في الفجر كان الرماد اكثر من الجمر مشتعل، اشعلنا بعض النار لاعداد الفطور، استعدادا للرحلة الجبلية التي قررنا الوصول فيها إلى قمم الجبال، قاطعين المحمية من اكثر اجزائها ثراء وصولا إلى المطلات العالية، وتقدر المسافة التي يتوجب علينا قطعها سيرا على الاقدام ١٥ كيلومترا، كانت الرحلة في غاية المتعة وكل ما يحيط بنا من نبات وحيوان وحتى الصخور تبدو منسجمة بشكل متناغم عجيب. وكثيرا ما تصادفنا بعض الطيور أو الثدييات التي كنا نتوقف لمراقبتها وتأملها، وكان اغرب ما صادفنا في هذه المحمية حيوان الكوالا Koala وهو نوع واحد في استراليا تتدرج الوانه بين الرمادي والبني المحمر، واسمه العلمي Phascolarctos Cinereus ويسمى محليا بدب الكوالا، أو الدب المحلي، وتختلف احجامها من جنوب المناطق توزيعا إلى شمالها، وتتراوح اوزانها بين ١١,٨ كغم للذكور و ٧,٩١ كغم للأناث، ويشبه في شكله دمى الأطفال فهو هادىء وقليل الحركة .



الكنغر الصغير خلال تغذيه على الاعشاب .

ويعتمد الكوالا في غذائه الرئيس على اوراق اشجار الكافور Eucalypts السائدة والكثيرة الأنواع في استراليا، وبسبب احتواء اوراق الكافور على كميات قليلة من البروتينات وكميات عالية من الألياف، وزيوت طيارة، واحيانا تحتوي على السيانيد السام لا تصلح غذاء لمعظم الثدييات - لكن الكوالا هذا الحيوان الغريب الشكل هو كذلك في اعضائه الداخلية، فقد تكيف في غذائه على اوراق اشجار الكافور، وربما لهذا السبب توجد لديه زائدة دودية طويلة في امعائه وتحوي كائنات حية دقيقة تساعده على هضم اوراق الكافور، وربما كانت لديه القدرة على تجنب الأوراق السامة .

ويقضي الكوالا معظم وقته نائما على افرع الأشجار وينشط عند الغروب، ويعيش منفردا وللذكر غدة صدرية تفرز مادة - خلال موسم التزاوج - ونادرا ما يشاهد ماشيا على الأرض وذلك عندما ينتقل من شجرة لأخرى، وهو بطيء الحركة مما يجعله فريسة سهلة لكلاب استراليا البرية «الدنجو Dingo ». ويتوالد الكوالا في فصل الصيف وتضع الأنثى مولودا واحدا او اثنين سنويا، ويخرج المولود غير مكتمل النمو كما هو الحال في الكنغر، ويكون وزنه عند الولادة ٥,٥ جرام، ويبقى في الكيس الخارجي على بطن الأم ٧ اشهر يرضع خلالها من امه، بعد هذه الفترة يخرج من الكيس ليتغذى على اوراق اشجار الكافور. ويسبق ذلك تغذية على فضلات امه للحصول على الميكروبات اللازمة لهضم الياف اوراق الكافور، وتصل الأنثى لسن البلوغ عند عمر سنتين بينما يصل الذكر ذلك



كلاب الدنجو البرية المفترسة .

السن بعد مرور ثلاث او اربع سنوات، ومتوسط عمره في الأسر يزيد على خمسة عشر عاما. والكوالا حيوان مهدد بالانقراض نتيجة لكثرة صيده للحصول على فرائه وهو خاضع لأنظمة الحماية الاسترالية .

وحينما بلغنا قمم الجبال واشرفنا على المطلات كانت معظم ارجاء المحمية تحت ابصارنا وكان منظر الصخور الضخمة الناتئة من غابات الكافور كحراس لهذه الخضرة الدائمة يدعو للتأمل في اساطير السكان الاصليين Aboriginal التي ربما حفزتها هذه الروعة المدهشة للطبيعة، وبعد الارتياح على قمم الجبال بعض الوقت، كان طريق العودة للمخيم اصعب، فقد مسنا التعب، وكان من الصعب متابعة الشمس وهي تختفي خلف الجبال لكثافة اشجار الغابة . بعد عدة ايام قضيناها في ارجاء المحمية حزمنا مخيماتنا متجهين إلى سيدني عبر طريق آخر حيث الغابات المطيرة. فاستراليا تنقسم مناخيا إلى منطقتين هما :

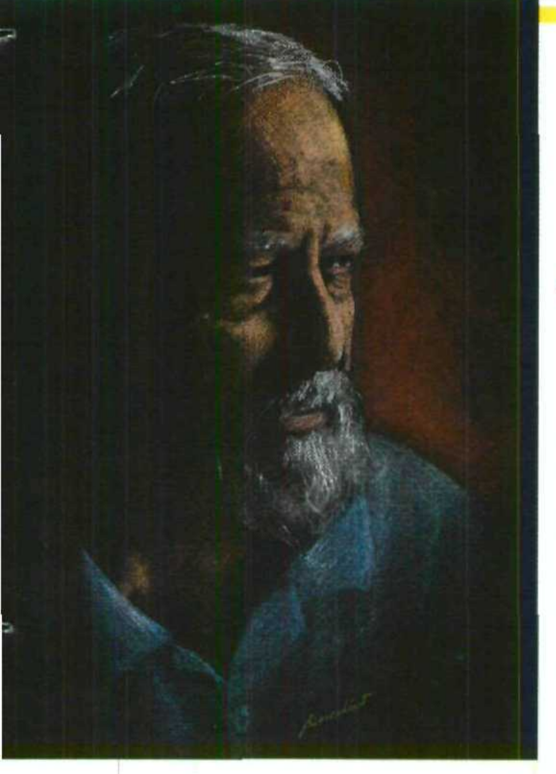
* منطقة رياح تجارية شمالية ذات صيف مطير وشتاء جاف.

* منطقة تنتمي لاقليم البحر الأبيض المتوسط ذات صيف جاف وشتاء مطير، مع قيام منطقة انتقالية بين المنطقتين .

ولعل اكثر ما بعث في نفسي الدهشة هو ذلك السياج الذي اعترض الطريق ببوابة كبيرة عليها صورة للكلب الاسترالي البري الدنجو وعلامة الممنوع، وكتبت لوحة «رجاء اغلق البوابة بعد الدخول»، واتضح بعدها ان هذا السياج يمتد لآلاف الكيلومترات فاصلا جنوب وشرق استراليا عن بقية القارة. وذلك لحماية مراعي الأغنام من هذه الكلاب المفترسة .

ودخلت كلاب الدنجو استراليا مع السكان الاصليين في احدى موجات هجراتهم إلى استراليا وذلك قبل ٣ - ٨ الاف عام، وقد انتشرت هذه الكلاب في كل القارة الاسترالية، واصبحت منافسا قويا للنمر الاسترالي المستوطن : أو الذئب التسماني - الذي ربما انقرض من البيئة الطبيعية نتيجة اصطياده وقتله على نطاق واسع، ولم يدخل ضمن قوانين حماية البيئة الا في عام ١٩٣٦م، إذ ربما يكون قد انقرض بالفعل قبل هذا التاريخ. وتوجد له بعض المحنطات في بعض المتاحف الاسترالية، وتبقى كلاب الدنجو البرية الأكثر خطورة على مراعي الأغنام، وهي كلاب بدائية تختلف عن الكلاب العادية ببعض الصفات، واسمها العلمي Canis Familiaris Dingo ، وقد وجدت حفريات لهياكل عظمية كاملة لهذه الكلاب يرجع تاريخها إلى حوالي ثمانية آلاف عام ، ويعتمد في غذائه على الأرانب وصغار الكنغر والكنغر الرمادي اضافة إلى تغذية على المواشي. وهو غالبا ما يصطاد فرائسه بمفرده ولكن إذا كانت الفريسة كبيرة فعندها يصطاد بشكل جماعات، ويتلاقح في الخريف، ويستمر حمل الأنثى لثلاثة اشهر تضع بعدها في الشتاء وأوائل فصل الربيع من ١ - ٨ صغار، وتتراوح الوانه بين اللون الرملي والأحمر ونادرا الأسود، وتعد مشاكل ادخال انواع غريبة على بيئات لم تكن موجودة فيها اصلا احدى اهم المشاكل البيئية، ففي استراليا نماذج كثيرة سواء كانت حيوانات او نباتات، ولعله غني عن التعريف مشاكل الأرانب التي ادخلها المستوطنون الجدد لاستراليا، ثم ادخلوا الثعلب الأوروبي الأحمر ومحاولاتهم للتخلص منها.

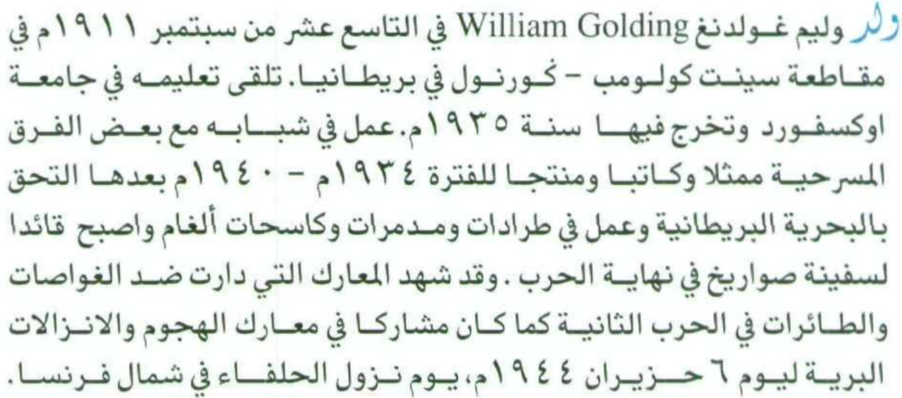
كان طريق العودة لسيدني رغم طول المسافة قصيرا، وكانت مياه المحيط الهادي تلمع تحت اشعة شمس الشتاء ، قبل ان يلوح لنا جسر سيدني الشهير لنعرف اننا قد وصلنا لأكبر المدن الاسترالية، لكي نحزم حقائبنا ايذانا بتوديع اصغر قارات العالم ■



أعلام الأدب الغربي :

وليم غولدنغ والرواية الأخلاقية

بقلم الأستاذ : ياسين طه حافظ - العراق



ولد وليم غـولدنغ William Golding في التاسع عشر من سبتمبر ١٩١١م في مقاطعة سينت كولومب - كورنول في بريطانيا. تلقى تعليمه في جامعة اوكسفورد وتخرج فيها سنة ١٩٣٥م. عمل في شبابه مع بعض الفرق المسرحية ممثلا وكاتبا ومنتجا للفترة ١٩٣٤م - ١٩٤٠م بعدها التحق بالبحرية البريطانية وعمل في طرادات ومدمرات وكاسحات ألغام واصبح قائدا لسفينة صواريخ في نهاية الحرب . وقد شهد المعارك التي دارت ضد الغواصات والطائرات في الحرب الثانية كما كان مشاركا في معارك الهجوم والانزالات البرية ليوم ٦ حزيران ١٩٤٤م، يوم نزول الحلفاء في شمال فرنسا.

قضى السنوات الخمس عشرة التي تلت ذلك في التدريس حتى اصبح استاذا زائرا في كلية هولنز في فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية. نال شهادة الماجستير في الأدب من جامعة أوكسفورد، وشهادة الدكتوراه من جامعة ساسكس، وكان ذلك سنة ١٩٧٠م.

في هذه الفترة اتضح نجمه الأدبي واتسعت شهرته واهميته في بريطانيا ، فأصبح عضوا في الجمعية الملكية للأدب سنة ١٩٥٥م، ونال وسام الامبراطورية في ١٩٦٦م، ونال جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٨٣م على روايته المشهورة «لورد الذباب Lord Of Flies » التي ترجمت إلى العربية ترجمتين، واحدة بعنوان «بعل الذباب» واخرى بعنوان «لورد الذباب».

و «لورد الذباب» صدرت سنة ١٩٥٤م وتحولت إلى فيلم سينمائي سنة ١٩٦٣م. والرواية تفصح عن صراعات حادة ومواقف مختلفة بين شخصياتها الرئيسة، وكلهم اولاد صبية، مثل رالف وجاك وبيجي وسيمون. ورغم ما يبدو من جو صبياني لأولاد في جزيرة ، فثمة كشف جريء وصعب للنوازع البشرية والرغبات والمطامع التي كشف عنها سلوكهم وهم في تلك السن. وذلك ما سيفصح عنه غولدنغ اكثر ويطوره في رواياته القادمة .

فأول ما بدا من سلوك نشاز وغير مهذب لهؤلاء الأولاد في الجزيرة هو السخرية من العيوب الخلقية لبعضهم - ربما كانت نقاط ضعف لدى من يعيش في غابة - فكان ضحية ذلك الولد الذكي والعاقل بيجي - ومعنى اسمه الخنزير الصغير او الخنوص. وهو ولد سمين يرتدي نظارات طبية ويعاني من الربو. وبعده سيمون الذي يعاني من نوبات الإغماء .

وأول مشكلة اجتماعية ظهرت هي مشكلة انتخاب رئيس لهم. (فالذكاء واضح في بيجي «الخنوص» والقيادة واضحة في جاك والرزانة تميز رالف ..) وبهدوء اشار غولدنغ إلى قضية كبيرة محيرة. ونلاحظ ان من فاز في الانتخاب هو من كانت معه القوقعة، التي كانوا يستعملونها كمكبرة صوت، بمعنى آخر : فاز الذي يملك وسيلة الاعلان ! وهنا يصبح واضحا كلام جاك لرالف الذي انتخب رئيسا دونه :

- « افراد الجوقة لك طبعا » .

- « يمكن ان يكوّنوا جيشا » .

- « أو صيادين » .

وسنرى ان عدم رضا جاك على انتخاب رالف، سيؤثر في مجرى الرواية وسيقسمهم إلى فئتين متحاربتين، ثم انتصار فريق جاك وجماعته المتوحشة الذين ارتضوا حياة الغاب.

قد يقال الكثير عن هذه الرواية ولكننا يمكن ان نجد بذرتها في «حي بن يقظان» لابن طفيل، وفي «جزيرة الكنز» لستيفنسون حتى ان فرايدي «جمعة» في جزيرة الكنز يحاول أن يصنع له

تقويما في الجزيرة ونجد هنا بيجي يـدعو كل واحد لأن يصنع له ساعة -مزوله- بغـرس العصي التي لديهم في الرمال. وازعم ان بين هذه الـرواية وبين مـزرعة الحيوان لجورج اورويـل وجها من شبه، فبدلا من الحيوانات في مزرعة الحيوان نجد أولادا صغـارا في لورد الذباب - والمشاكل مختلفة طبعا وكذا الموقف الفلسفي.

والدرس الاخلاقي الرئيس في الـرواية هو ضرورة ابقاء النار متقـدة ليجتـذب الـدخان طـائرة أو سفينـة فتنقـذهم من هـذه الجزيـرة المقطـوعـة عـن العـالم، اي ان الاهتمام بـالمصير هـو القضيـة الأولى. لكننا نجـد اكثـر الصبيـة ينشغلون بـالصيـد والطعـام عن هـذه المهمـة الاساسيـة. وهكـذا انقسمـوا، ووصل الأمـر حـدّ العصيـان، فما نفعت نصـائح رالف، بل فقـد هيبتـه، واعلن جاك وجماعته التمرد ورفضوا دعوة رالف:

- «سأنفخ بالقوقعة، وادعو إلى اجتماع».

- «لن نسمع!».

ثـمّ يدعـو جاك لطرد رالف ويبدأ بكشف عيـوب خصمه «انه جبان»! وهنا اشارة إلى منطق الغاب الذي بدأ يسود.

وإذ تمرد أولئك جاعلين من انفسهم متـوحشين، اضطر رالف وجماعته، اريك وسام وبيجي لأن يذهبوا بأنفسهم اليهم - انها الحكمـة تسعى لانقـاذ الحياة وديمـومـة النار والـدخـان. لكن التوحش هـو الذي انتصر ونزعـة الصيد هي التي سـادت ومات بيجي وسيمـون وبقي رالف وحيـدا مطـاردا يعـاني محنتـه وانفـراده، وتـوحش جـاك و «قبيلتـه» وقـد احس بأنـه منبـوذ ومطارد:

- «لأن لديّ بعض العقل»!

- «اسمع يا رالف، لا تبال بما هو معقول، ذلك أمر وليّ».

- «انهم يكرهونك، سيطاردونك ..».

- «لكني لم افعل شيئا، اردت ان ابقي النار مشتعلة».

والدرس الأخـلاقي الاخر في الـرواية هـو ان قسما كبيرا من الناس يمكن ان يفقـدوا قيمهم ويتوحشـوا إذا ما كـانت ظروفهم وحشية وبـلا قيم. وان القلة المهذبة غير قـادرة على انقاذ الموقف ووقف الانحـدار. لكن وجود هـذه القلـة ضروري لانقاذ الحيـاة. فالـدخان هو الذي اجتـذب «الطراد الجميل الذي رسـا بعيدا» والذي سيعود بهم إلى الوطن.

والرواية الاخرى لغولدنغ هي «بنشر مارتن Pincher Martin» (١٩٥٦م) تتنـاول تجربـة انسـان غير سـوي يعيش آلام وعذابـات التطهير. هي روايـة درامية حادة ومـريرة، لكنهـا مثل روايات غولـدنغ الأخرى تبدو بسيطة وتنزع إلى تـربية الانسان وتطهيره مما يشوب انسانيته.

وقـد سـبقت «بنشـر مارتـن» روايـتـه: «الـورثة The Inheritors» (١٩٥٥م). وهذه رواية مستوحـاة من كتاب هـ. ج. ويلز «موجز التاريخ» الذي يتناول نشوء وتطور الجنس البشري. ويبدو لي ان هـذه الرواية كتبـت اصلا لتبيان مـا افتقده الانسـان الحديث مـن انسجـام مع الطبيعـة ومتعـة العيش. فالروايـة تبدأ بشبه احتفال بـالحياة البدائية البسيطـة: «كان لوك يجري بأقصى سرعته، وكان رأسـه متدليا إلى اسفل، يحمل شجيرته الشائكة افقيا لتحـافظ على توازنه، وهو يضرب البراعم النشيطة بيـده الاخرى. ركبـت «ليكو» عليـه ضاحكـة واحدى يـديها تمسك بـالخصـلات الكستنـائيـة المستقـرة على عنقـه والمتـدليـة على ظهـره، بينما تمسك يـدهـا الاخـرى بـ «اوا» الصغيرة المندسة تحت ذقنه ..».

انّ غولدنغ يصف لنا هذا الالتذاذ بالطبيعة الواسعة ليذكّرنا نحن الـذين نعيش في علب اسمنتية ميتـة بأن ثمة عـالما مبهجا اضعنـاه: «لم تنتبـه «فـا» فقـد كـانت تبحث محنيـة الـرأس وخصـلاتها القريبـة من وجنتيها تمسح قطـرات الماء عن اوراق الشجـر الـذي تـلامسه. زعـق طائر وطـار متريثـا ومبتعـدا في الهواء.. «بيض بيـض»! انـزلقت عـن ظهـره ورقصـت بين كتل الاعشاب، قطعت «فا» شوكـة من شجيرة وثقبت البيضة من كلا طرفيها، انتزعتها «ليكـو» من بين يديها وبدأت تمتصها بصوت عال ..» هـذا الفرح بـالطبيعة وهـذه المتعة العميقـة والبسيطة بالحياة هما ما افتقده الانسان الجديد او الانسان اليوم.

والدرس الاخلاقي الاخر الذي يقدمه هذا الكاتب الاخلاقي، هـو الاهتمام العميق بالاخـرين في سـاعات المحنـة أو الضعف. فنحن نـرى كيف اهتمت تلك الشخصيات البـدائيـة بـ «مـال» المريض فقـدمـوا لـه لحم الظبيـة التي اصطادوهـا واهتمـوا بتغذيته فراحت العجوز توقظـه وتغريه بأكل اللحم المفيد له، و «ليكـو» تقتطع قطعة من الكبـد وتشويها على النـار، كما يكشف لنا المؤلف ان أولئك النـاس كانـوا متعاونين وذوي طبائع قـانعة فهم إذا مـا نـالـوا رزق يومهـم نعموا بـالطمأنينـة والاستقـرار وسكنوا قانعين، بينما يهلكنا القلق واللهاث على الدنيا.

وغولدنغ يجهر بـدرس اخلاقي مهم آخر فيشير إلى الخيوط التي تربط الانسان بالاخرين: «لم تكن الخيوط زينة الحياة، بل جوهـرها، فإذا قطعت، مات الانسـان ..» وهو يكرر التحـذير من أن يكون الانسان وحيدا، لأن ذلك يفسـد الحياة ويشوهها. يقول

على لسان «لوك»: «من السيء جدا ان تكونْ وحيدا» ويرى جرح «فا» فيقول ثانية : «من السيء ان تكون وحيدا» .

مقابل هذا هو يستنكر سلوك وطباع الناس الجدد .

- « الناس الجدد كالذئاب وعسلهم عفن .. » .

- « انهم كنار في الغابة » .

وفي موضع آخر : «النـاس الجدد خائفون، انهم يقفون ويتحركون خائفين .. انهم يخافون الهواء حيث لا يوجد شيء، فلنسترجع الآن مولودنا الجديد منهم » .

صحيح ان غولدنغ صور لنا الانسان القديم تصويرا دقيقا، فجسد لنا حياته اليومية وتصوراته ومتعه والاخطار التي يواجهها، لكنه اراد ان يضع حياة بعيدة اولى مقابل حياتنا الماثلة اليوم لننتبه إلى ما افتقدنا ونحن نتقدم .

ظـل الواعز الاخلاقي وتربية الانسان هدف غولدنغ الدائم. فبعد نيله جائزة نوبل، اصدر رواية بعنوان «رجال من ورق People of Papaer » (١٩٨٤) وهي الاخرى رواية اخلاقية تتناول العلاقة غير العادلة وغير المستقرة بين الكاتب «بركلي» والناقد «ثوكر». تعد هذه الرواية ردا أو تعقيبا ساخرا على ما يجره النقد على النص الادبي. ففي رأيه ان العلاقة بين النص والنقد (أو بين الفعل ورؤية الناس) علاقة خاطئة أو هي ليست سليمة النية اصلا .. وانها دائما ما تؤدي إلى سوء فهم بسبب خطأ التأويل او سوء الفهم - او هي كما يكشف غولدنغ ببعض الحياء، فرصة لرؤية مصلحة الذات. وهكذا يتسع معنى الرواية ليشمل العلاقة بين الانسان وأخيه الانسان أو بين الانسان والجماعة وبينهما قضية مشتركة، فيكشف بعمله الروائي ما يلحق بتلك القضية المشتركة من ضرر بسبب الانحياز إلى الذات والنظر إلى الاخر باعتباره طرفا مزاحما أو مضاداً !

واذا تجاوزنا اعماله المهمة الاخرى مثل «السقوط الحر» (١٩٥٩م) و «الهرم» ١٩٦٦م ومسرحيته الوحيدة «الفراشة النحاسية»، لنصل إلى مجموعته القصصية : «الملك العقرب» ١٩٧١م، سنجد وليم غولدنغ ما يزال على ذلك النهج في الكتابة، فهذه القصة الطويلة أو الرواية القصيرة، تدور في احدى ممالك النيل القديمة. ويوظف غولدنغ معرفته العميقة بالتاريخ وثقافته المصرية القديمة لخدمة هدفه الاخلاقي في الكتابة ولاستكمال سعيه لكشف نوازع الانسان ومتطلبات روحه. في هذه الرواية يؤكد ان روح الانسان اصلا مع الحقيقة والجوهر وهو لا يرتضي الشر أو الزيف بل يجهد للخلاص منهما .

ولكي يكون القارىء الكريم على بيّنة من اسلوب غولدنغ ومدى معرفته بالتاريخ المصري القديم، نورد هذه السطور من «الملك العقرب» حيث ارادوا، في تلك المملكة المصرية القديمة، ان «ينصّبوا الأمير الصغير» (١١ سنة) ملكا ليكون آخر ملوكهم، خدمة لمصالحهم هم، وما كان الولد النقي البريء مقتنعا بما يسبغونه عليه من صفات، فما كان يحتمل المراسم التي يجرونها لتنصيبه ولاقناعه بأنه ليس كباقي الناس، يقول غولدنغ : «كان الرجل - الرأس قد ابتعد بالأمير عن مربياته واجلسه على كرسي في قاعة الولائم، قدماه مرفوعتان إلى أعلى وعيناه مفتوحتان تحدقان في الفراغ. كان مرتديا ثوبا خاصا بالاحتفالات، ثوبا يضيق من الخلف لينتهي بذيل. يتقاطع على صدره الصولجان والمدرس. كانت خصلة شعره الجانبية الجميلة قد ازيلت وبدأ رأسه اصلع مثل حصاة ملساء زينت بشعر مستعار احكم وضعه عليها. وقد ربط عليه التاج المصنوع من الكتان وثبتت له لحية مصطنعة على ذقنه .

جلس الأمير وهو يكتم انفاسه ويمتنع عن تحريك اجفانه بينما لاحت التعاسة على محياه وتجمعت الدموع في مآقيه لفرط ما يبذل من جهد . كان الرجل - الرأس يتمشى حول الأمير جيئة وذهابا وكان السكون مخيما على المكان الا صوت واحد هو حفيف تنورته. «حسن»، قال الرجل - الرأس، «حسن جدا». وانسكبت دمعة من عين الأمير المثقلة حزنا وتحدرت على خده، بعدها لم يحتمل الأمير اكثر فحرّك جفنيه بغضب .

قال الرجل - الرأس : «جفف دموعك ، لقد احسنت في عملك، ولكنك افسدت كل شيء . دع عينيك مفتوحتين لتنهمر الدموع للناس ولا ترمش اجفانك ! » .

- « لكن يجب ان ترمش اجفاني، كل الناس ترمش اجفانهم!» .

- « انت لن تكون من الناس» ، قال الرجل - الرأس غاضبا، «ستكون الملك ! وسيكون اسمك البيت العظيم وستتوج في ابهة واحتفاء، تمسك السلطان بيد والرعاية باليد الاخرى»».

هكذا هو غولدنغ في فنه الروائي ، فبعد ان كشف ما في شخوص هذه الرواية من شرور مخفية وراء زيناتهم والفاظهم ، وبعد ان عرّى نزعاتهم والعيوب الاجتماعية والبشرية في عالمهم القديم ذاك، يبين لنا بوصف دقيق مؤثر معاناة الأمير الصغير، رمز النقاء الانساني، وكيف أبت براءته ان يكون بعضا من تلك اللعبة وان يخضع للاستلاب ولمصادرة حقيقته البشرية. فهو يرفض اخيرا ان يكون مزيفا فيترك كرسيّه هاربا منهم جميعا ليحتفظ بانسانيته وصدقه ■

الأطباق الطائرة ... حقيقة أو خيال!

بقلم الأستاذ : محمد علي بن كامل - سورية

الكثيرون يتساءلون حول هذه الظاهرة، إلا أن البحث فيها يتطلب جهدا نظريا معمقا من ناحية والعودة إلى المراجع ذات الشأن خاصة المراجع الاسبانية التي كتب فيها انطونيو ريبيرا الكثير من التفصيلات المهمة عن الكائنات التي زارت الأرض واجرت تجارب عديدة على سكانها من البشر، موثقا معلوماته بأهم المراجع النفسية واهم الاساتذة الجامعيين .



رسم تخيلي لأحد الأطباق الطائرة التي شوهدت قرب مدينة رسويل بولاية نيو مكسيكو في مساء الثاني من يوليو عام ١٩٤٧م، وفي اليوم التالي وجد حطام عدة قطع في مزرعة أغنام في المنطقة.

والأمر يتعدى ريبيرا إلى عدد كبير من الكتّاب الامريكيين والفرنسيين والاسبانيين كجورج اداماسكي واوملوس بالستير وتشارليز بيرليتز وجوهانز بوتلر وموريس شاتالين وباردزبونز ومئات آخرين قدموا لنا تفاصيل عديدة عن الاطباق الطائرة او الاجسام غير محددة الهوية ، وعن زيارة كائناتها إلى الأرض. بعض هذه التفاصيل نشر مؤخرا وذلك عندما افرجت موسكو عن نتائج مؤتمر الأطباق الطائرة الذي عقد في عام ١٩٦٨، ولكن نتائج المؤتمرات اللاحقة منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم ما تزال طي الكتمان لأن الدول العظمى تعد هذه الموضوعات من النوع الاستراتيجي، إذ ربما تكون المعلومات العلمية التي تحملها هذه الأطباق الطائرة جزءا من سباق التسلح او معركة المعلوميات الخطيرة التي ما تزال مندلعة بين الدول في منافسة محمومة هدفها الهيمنة على الاخرين .

" احتمال وجود عالم آخر " :

مع وجود نصف تريليون نجم في مجرة درب التبانة وحدها هل يمكن ان يكون هناك احتمال حياة اخرى. القانون الذي يعين ذلك هو : $N = L* FP* Ne* FE* Fi* Fc* FL$ حيث N هو عدد الحضارات التقنية المتقدمة في مجرتنا و L هو عدد النجوم في مجرة درب التبانة و Fp هو عدد الكواكب في منظومات كوكبية كالمجموعة الشمسية و Ne هو عدد الكواكب في كل منظومة كوكبية التي توجد فيها شروط ملائمة للحياة، و FL هو نسبة الزمن الذي تستمر فيه الحضارة التقنية في الكوكب مقسما على عمر هذا الكوكب و FE هو نسبة الكواكب الملائمة للحياة التي نشأت فيها الحياة فعلا و FC هو نسبة الكواكب المأهولة بكائنات عاقلة، و Fi نسبة الكواكب المسكونة .

وإذا ضربنا هذه النسب ببعضها تقديرا كانت قيمة N هي ١ × ١٠ ⁹ اي مليار كوكب نشأت فيها حضارات تقنية لمرة واحدة على الاقل ولكن هذا لا يعني انها

قامت بالفعل او ما تزال قائمة إذ ربما يصل التقدم التقني فيها إلى مرحلة تدمر نفسها. لكن النسبة كبيرة في مجرة واحدة من اصل مجسات عديدة.

فإذا وجدت ملايين الحضارات فكيف تتصل ببعضها؟ كيف تتفاهم وهي بلغات مختلفة. ان المسافة إلى اقرب واحدة منها هي مئة سنة ضوئية تقريبا فإذا أرسلنا رسالة لها بسرعة الضوء (٣ × ١٠^٨ م/ث) فإننا نحتاج إلى قرنين قبل وصول الرد من اقرب حضارة.

فإذا تبادلنا الرسائل فكيف يدعي بعض الناس انهم يأتون إلينا، للاجابة على هذه الأسئلة تذهب إلى المعلومات التي يقدمها لنا الذين التقوا أو يدعون انهم التقوا كائنات عاقلة: يرى انطونيو ريبيرا نقلا عن أحد الذين التقوا كائنات عاقلة غير ارضية انهم ابلغوه انهم لا يستخدمون اربعة ابعاد فقط ولذلك فليست سرعة الضوء هي اقصى سرعة لديهم كما يقول اينشتاين في نظرية النسبية ذات الأبعاد الأربعة، فبعضهم يستخدم ثمانية ابعاد وسبعة ابعاد وهذا ما يضاعف السرعة لديهم بشكل شبه آني.

وبخصوص حقيقة التقاء اشخاص فضائيين بأناس أرضيين عقد مؤتمر في الولايات المتحدة الأمريكية في ماساشوستيس بدعوة من قبل معهد ماساشوسيتس للتقنية وشارك فيه عام ١٩٩٢م حوالي ١٥٠ عالما في مختلف التخصصات، من الفيزياء النووية، إلى الكيمياء، إلى علم النفس، وعدد من الشخصيات العلمية التي تتمتع بشهرة ومصداقية في العالم. ومن هؤلاء: البروفيسور جون ماك، استاذ علم النفس في جامعة هارفارد، والبروفيسورة ملكة نوتمان، من مستشفى كيمبردج في ماساشوسيتس، والبروفيسور دايفيد جاكوب، من جامعة تمبل في فيلادلفيا، إلى جانب عدد كبير من الاكاديميين والعلماء.

يقول البروفيسور جون ماك، من جامعة هارفارد، الذي تابع شخصيا ما يزيد عن

جسم غير محدد الهوية يبدو فوق أحد الطرق في مدينة بليفيل في ولاية ويسكنسن الأمريكية. ولعدة أشهر ما بين عامي ١٩٨٦م - ١٩٨٧م أصبحت هذه المشاهدات تشكل إزعاجاً لأهل تلك المدينة.


Science Photo Library - London

خمسين حالة اختطاف من هذا النوع، ويعقد لقاء شهريا مع اصحابها : «ان القضية ليست قضية هستيريا جماعية، فليس هنالك ما يدعو هؤلاء إلى اختلاق احداث لم تحدث. يضاف إلى ذلك انهم لم يكونوا يرغبون في الكشف عن التجارب التي تعرضوا لها، وقد بذلت جهودا كبيرة لاقناعهم بالكلام» .

ويقول البروفيسور دايفيد بريشار، مدير معهد ماساشوسيتس للتقنية ومدير المؤتمر ان أحد العلماء في المعهد تعرض للاختطاف من قبل كائنات من هذا النوع. وقد عاد ليروي لزملائه التجربة التي تعرض لها .

وتشير الاحصاءات والدراسات إلى أن هنالك امريكيا واحدا من بين كل خمسين امريكيا تعرض لتجربة مع كائنات غير ارضية، وجاء في استفتاء اجرته مؤسسة «روبر» برعاية «مؤسسة الكائنات الغريبة» و«صندوق ابحاث الأجسام الطائرة غير المعروفة» : ان عدد الذين تعرضوا لتجارب من هذا النوع يزيد عن ٤,٧٠٠,٠٠٠ أمريكي».

وفي ارشيف وزارة الدفاع الأمريكية حوادث عن عسكريين اختفوا بصورة غامضة، من غواصات تابعة للبحرية الأمريكية، خلال وجودها في اعماق البحار .

وقبل مدة، اصدر احد العلماء في جامعة «تمبل» في فلوريدا كتابا بعنوان «الحياة السرية» حاول ان يضع فيه بعض حالات الاختطاف التي حدثت في امريكا في اطار نظري. وفي الآونة الأخيرة استحدثت الجامعة دورة دراسية خاصة بعنوان «الاجسام الطائرة غير المعروفة في المجتمع الامريكي» .

وقد استغلت شبكة « سي. بي. اس» التليفزيونية المؤتمر، وانتجت مسلسلا عن الصحون الطائرة الغريبة، وعمليات الاختطاف التي تعرض لها بعض الناس، ويتحدث المسلسل عن تجربة عالم نفس ينذر نفسه لمساعدة هؤلاء على التخلص من ذيول التجربة التي تعرضوا لها، وعالم النفس في المسلسل يجسد شخصية الدكتور جون ماك في جامعة هارفارد، الذي يقوم بدور مماثل لهذا الدور في الواقع، أما الذين يتعرضون للاختطاف في المسلسل فتستند قصصهم إلى التجربة الحقيقية التي تعرض لها الأشخاص الذين يتابع الدكتور ماك حالتهم منذ فترة طويلة وفي الدعاية التي بدأت الشركة ببثها عن المسلسل منذ الآن، يظهر احد هؤلاء على شاشة التلفزيون، ويحذر الأمريكيين قائلا: لن تجدوا مكانا تهربون إليه .

ويقول الدكتور ماك: ان العدد الحقيقي للذين تعرضوا للاختطاف على ايدي كائنات من الفضاء الخارجي يفوق العدد المعروف بكثير ولكن المشكلة هي ان بعضهم لا يذكر شيئا عن تجربته، بعد الخروج منها، وبعضهم صادفته التجربة وهو صغير السن، ولذلك فإن السبيل الوحيد لمساعدتهم على استعادة هذه التجربة هو : التنويم المغناطيسي .

والدكتور ماك معروف في الأوساط العلمية بأبحاثه القيمة، ومن بينها سيكولوجية الحرب النووية، الذي اصدره عام ١٩٧٧، ودراسته عن «لورنس» التي فازت بجائزة «بوليتزر» ويقول ان تجربته مع الصحون الطائرة بدأت قبل مدة عندما دعاه عالم صديق لمقابلة الفنان يدكوبنز الذي يجري بحوثا حول الأطباق الطائرة حيث يخضع الأشخاص الذين يزعمون انهم شاهدوا هذه الأطباق وتحدثوا مع من بداخلها إلى التنويم المغناطيسي، ويساعدهم على استعادة التجربة التي تعرضوا لها. وأول ما لفت نظر الدكتور ماك في تجارب هؤلاء هو انها تكاد تكون متشابهة، حتى في تفاصيلها الصغيرة رغم ان اصحابها لا يعرفون بعضهم بعضا .

وتروي «ليندا ناب» وهي فتاة تعرضت لتجربة مع الكائنات غير الأرضية - تجربتها على الوجه التالي :

«استيقظت ذات ليلة من عام ١٩٨٨م على كائن غريب في غرفة نومي واحسست كأن ضوءا يميل إلى الزرقة غمرني، وحملني عبر نافذة الغرفة إلى مركبة فضائية، وفي داخل المركبة اخضعتني الكائنات الغريبة للفحص، وعاينت فقرات ظهري بآلة طرية في مثل ليونة عرف الديك» .

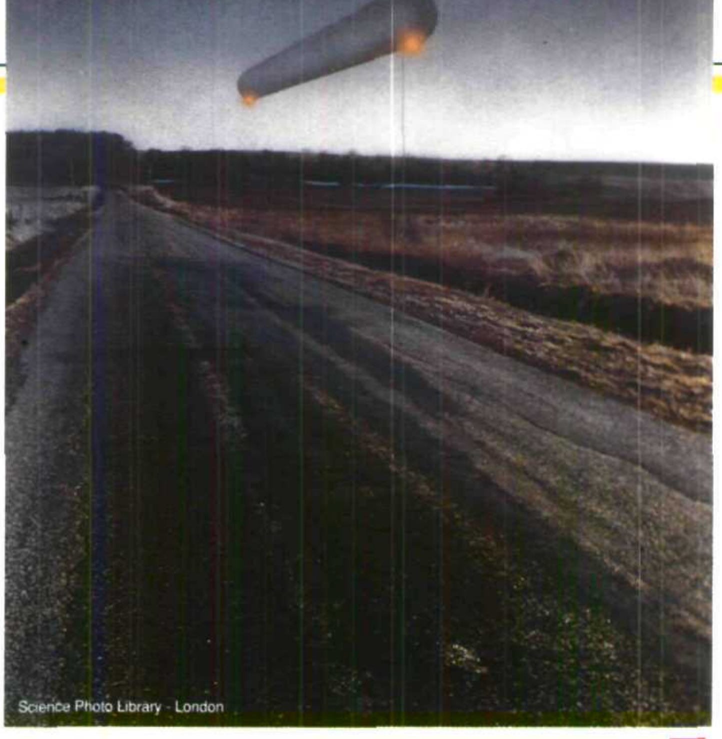
وتقول «هيلين ويلز» انها تعاني منذ الطفولة من نزيف غريب لا يعرف له سبب، في انفها، وبعد خضوعها للتنويم المغناطيسي تبين انها تعرضت في اثناء الطفولة لحادث اختطاف من قبل كائنات من الفضاء الخارجي، حيث نقلت إلى سفينة فضائية مزودة بغرفة عمليات، وزرعت الكائنات الغريبة شيئا في انفها .

ومعظم الذين تعرضوا للاختطاف لايتذكرون التجربة التي تعرضوا لها، وانما

لديهم فكرة مبهمة عنها تتضح تفاصيلها خلال عملية التنويم المغناطيسي. ومثال على ذلك ان احدى الفتيات تذكر انها شاهدت حيوان كنغر في غرفتها عندما كانت طفلة، وبعد تنويمها مغناطيسيا تبين ان الكنغر كائن من الفضاء الخارجي.

بمعنى آخر نستطيع القول ان هنالك ظاهرات تستحق النظر وتنسب إلى الاجسام مجهولة الهوية، وعلى افتراض ان ما جاء به الكثيرون ممن تعرضوا للقاءات مع كائنات فضائية صحيح، فإننا نستطيع ان نستخلص بعض الاستنتاجات ذات الطابع العلمي، وهذا ما تأتي به مراجع مختلفة يمكن اجمالها على النحو التالي:

إن تجاوز المسافة امر وارد إذا غيرنا بديهياتنا العلمية التي تكتشف الأبحاث المتطورة انها مجموعة افتراضات متتابعة للعقل البشري من اجل ادراك العالم المحيط، فقد اكدت القوة الجوية البلجيكية في صيف عام ١٩٩٠م انها رصدت جسما على الرادارات ضمن المجال الجوي البلجيكي وان هذا الجسم قد غيّر سرعته بشكل فائق للغاية حيث ضاعف سرعته إلى حوالي ١٠٢٨ مرة خلال اقل من «١/١٠»ثا وهذا يعني ان مفهوم الزمني الاني لدينا يمكن ان يتحطم إذا تم استخدام ابعاد جديدة مثل فصل السرعة عن مفهوم الزمن.



هذه الصورة توضح محاكاة لجسم غير محدد الهوية شوهد في مدينة بيلفيل في ولاية ويسكنسن في احدى ليالي مارس عام ١٩٨٧م ولبضعة أشهر سابقة شوهدت أجسام تتراوح بين حزم ضوئية وأشكال اسطوانية. وهذه المشاهدات أثبتت من قبل أشخاص عديدين.

بعض الأبحاث تتحدث عن تجارب اجريت على الانسان، منها التجربة التي حدثت مع الكولومبي «ليبراتو انيبال كينتيرو» الذي تعرض سنة ١٩٧٦م إلى اختطاف ثم اجريت عليه تجارب مختلفة. وقد يكون المختطفون أو القادمون من الفضاء الخارجي يجرون ابحاثا على اهل الأرض ولا يحاولون الاتصال المعمم بهم اما لأنهم يعدون انفسهم في وضع اعلى أو انهم يراقبون التطور العلمي وما يرافقه من احتمال لتدمير الكرة الأرضية معه بقلق شديد، ولذلك فهم لا يرغبون اطلاقا بمنح البشر المزيد من المعارف باللقاء المعمم بهم. ويجمع تقريبا الذين تعرضوا إلى رؤية الأطباق الطائرة على أن هذه الأطباق غالباً ذات شكل بيضوي ومؤلف من جهاز نير للغاية، ومع قدوم هذه المركبات تتغير درجة الحرارة المحيطة إلى البرودة، وانها ذات أصوات كالازيز الخفيف.

وتفيد دراسة صدرت بالأسبانية أن نوعية الكائنات التي رؤيت يمكن دراستها على النحو التالي:

ان هذه الكائنات، وفقا لما وصفها خوليو لويس خوردان أحد الأشخاص الذين تعرضوا لعملية اختطاف، تتمتع بجمجمة كبيرة ومظهرهم يتطابق لتحليل الدكتورة ماريا تيريسا الفاريث مع انسان المستقبل المرسوم بصورة متكاملة وتخيلية من قبل التشريحيين وعلماء علم الانسان: جمجمة كبيرة نامية نموا ضخما وازدياد متناسق لدائرة العيون، وسقوط كامل للزغب والمشتقات الشعرية وطول في الأصابع ونمو حاد في الذقن، فالذقن التي وصفها خوليو هي بارزة اكثر بكثير من الذقن البشرية الحالية، الأمر الذي يوحي بوجود تطور اكبر لديهم.

والنقطة الاخرى، المهمة تكمن في حدية الذقن. وتأسيسا على مبادىء علم الانسان فإن الزاوية الارتفاقية، أو الزاوية المتكونة من فرعي الفك السفلي، تعطينا درجة تطور الجنس البشري، فكلما كانت تلك الزاوية الارتفاقية اكثر حدية (اي كلما كانت تميل اكثر إلى الزاوية الحادة)، يكون صاحب تلك الذقن، اكثر تطورا أو تقدما.

وفي هذه الدراسة المقارنة، نقطتان تلفتان النظر بشكل خاص: احداهما الترابط التشريحي للأشخاص المعنيين، والاخرى التطابق الكامل بين الرؤية والمزايا التشكيلية لتلك العناصر. يتحدث خوليو، مثلا، عن الاكتاف والخصر الضخمين، وهذا

منطقي إذا كـان عليهما ان يسندا جمجمـة ضخمـة ، كما ان بـؤبؤ عيـونهم كـان يبـدو واسعـا ممـا يـدل على ان نـور البيئـة التي يسكنها اصحاب ذلك البـؤبؤ، لطيف، أو على الأقـل، لم تجرح البصر وهـي تتماشـى مـع غيـاب الـرمـوش، التي تقـوم – من حيث الـوظيفـة – كـالستارة الـواقيـة من اشعـة النـور القـويـة، فالنـور الـذي كـان سـائدا بالمركبة، ناصع البيـاض، خفيف جدا، بدليل انه عندما غادر خـوليو المركبة بهر بقوة نور الشمس. والتطــابق الآخـر : عــدم وجـود حـواجـب لـدى اولئك «الاشخــاص» ممـا يفترض معـه – ايضـا – عدم وجـود عـرق فـالحواجب وظيفتها الاحتفـاظ بالأشيـاء الغـريبـة التي تقع من الشعـر ومن الجبين، وهذا يعود إلى الترابط الواضح في تصريحات خوليـو، عندما قدر ان هـؤلاء الأشخاص لم يعـرقوا. (مـلاحظة : عـدم وجود حـواجب ورموش يمكن لها ان تعني – بـالاستنتاج – ان الاشخـاص المعنيين كـانـوا يعيشـون في وسط اصطنـاعي، او انهم كانـوا يعيشون في مكان لم يكن فيه تلوث، او هواء – اي رياح – أو تغييرات في الطقس). واخيرا، الطـــول الفـاحش لاصــابعهم وهي تشبـه اصــابع «رجل المستقبل»، الــذي سيكـون لـديـه سـلامى ناميـة كل النمو، وحيث ستتعـرض اليد إلى تخصص حقيقـي للتعود على ضغط الأزرار وهـذا يطـابق تمامـا مـا وصفـه لنـا خوليـو، حين قال : «اولئك الأشخاص كـانوا يحركـون الأزرار ومقـابض الآلات بسرعـــة تكاد لا تصدق». واكثر من ذلك، كلماته تشير نحـو تبـدل تشريحي كبير. ومن مفصل اليـد إلى الأسفل كان يبـدو كإنسان آخـر . ايديهم لم تتـوافق مع بـاقي الجسم . كانـت طويلـة طـويلـة جـدا، عظميـة ونـاعمـة. كأنهم لم يقوموا قط بأي عمل فيزيائي في حياتهم » .

وباختصار : فإن تشكـل اجسام هـؤلاء ملائم تماما مع النماذج البشرية المتحدرة في الانسـان قبل التـاريخ او انهم اتبعـوا منـذ القدم طريقا تطوريا موازيا له .

أما التفاهم مع كـائنات تأتي من الفضاء الخارجي فيتم عن طـريق التخـاطـر وهـذه ظـاهـرة مثبتـة علميـة، بل أن المراجع التي تتحـدث عن لقــاءات بين رجــال ارضيين وآخرين من الفضاء تركّز على أن غالبية هذه الكائنات اما بدون فم او انها لا تستخدمه .

لقد اكد رواد الفضاء وجود اطباق طائرة إذ سجل رائد الفضـاء الامريكي مـاك ديوك قـائد المركبة جيمني اربع مشـاهدات خـلال دوران مركبته حول الأرض عام ١٩٦٥م .

واشـار بـاحثـان امـريكيـان في وكـالـة الفضاء الأمـريكية ناسـا إلى احتمال وجود قوة كـونية لا تريد تـدخل البشر في الفضاء الخارجي .

وذكر رائدا الفضاء الروسيـان جريشكو وروماـنينكـو عــام ١٩٧٨ انهما شـاهـدا جسما طائرا خلف مركبتهما ساليوت – ٦ .

كـذلـك في امتـداد مقفـر في الصحــراء المكسيكية يعـرف باسم «منطقـة السكون» تحدث ظواهـر غريبة حيث تفقـد السيارات قـوتها بفعل تأثيرات مغناطيسيـة مجهولـة بالمنطقة وتتعطل اجهزة الراديو كما تسقط الشهب والنيازك من السماء ليلا .

ويعتقد بعض البـاحثين ان هذه المنطقة المخيفـة الغـامضـة هي محطـة استراحـة لعدد من الأطباق الطـائرة تتسبب في حدوث تلك الظواهر الغريبة .

واضافة لذلك فإن هنـاك منطقـة تبلغ مساحتهـا عشرة اميال مـربعة وتقع في قلب صحراء ما بيمي المكسيكية هي ايضا موطن لحيوانات غـريبة وحشرات تكبر عن الحجم المعتـاد بثــلاثـة اضعـاف، كما ان قــذيفـة امـريكيـة اطلقت للتجربـة انحـرفت بشكل غريب عن مسارها وتحطمت في المنطقة .

ويقول هايدن هيوز مدير معهد الاجسام الطـائرة المجهـولـة في ولايـة اوكـلاهـومـا الأمـريكيـة : ان كل هذه الظـواهـر تشير إلى كائنات غير ارضية امـا «جري هانت» مؤلف كتاب «منطقة السكـون» فيتفق معه ويطلق على المنطقـــة «عالــم الاشيـــــاء التي لاتعقــل » ■

المراجع

1 - Adamski, George: Inside the Space Ship, Paperback Libr. Inc. 1955 New York.

2 - Ballester `Omles, Vic.J.: Investigacion Ovni: Plaza & James Barcelona, 1984.

3 - Benitez Juan Jose: Ovnis: Documentos of iciales del gobierno Expanol Plaza & James Barcelona, 1979.

4 - Bowen, Charles: The Humanoids. Neville Spearman, 1969.

5 - Buttlar Johaness: Zeitsprung C. Bertelsman Verlg, 1977.

6 - Chatelain Maurice: En busca de nuestors antepasados comicos, Ed. Martinez Roca, Barcelona, 1980.

7 - Condon Edward V.: Scientific study of UFO. Conducted by the University of colorado. The New York Times Co. NY.

8 - Danyans Engenio: Platillos Volantes eu la actualidad. Plaza & James, 1980.

9 - Ery Daniel: The while sands incident. Best Book 1966.

10 - Fuller John G.: The interrupted Journey. Dial Press, 1966.

11 - Hynek J. Allen: The UFO Experience. Henry Regnery Co. 1972.

12 - Keyhos Donald E.: Flying Sancer from Outer-Space. Wingate Baker, 1969.

النقد الأدبي والمعضلة الأفلاطونية

«٢»

بقلم: د. صبري حافظ - بريطانيا

فتح تأسيس دراسة الأدب على قاعدة من الدراسات اللغويـة المقارنة بدلًا من دراسات العلوم الإجتماعية والفلسفية المجـال أمام البحث في دوافع الرسـالة الأدبية باعتبـارها رسالـة لغوية لها غايـاتها وبنيتها وتتسم علاقتها بالواقع بكل خصائص علاقة اللغة المعقـدة به. ومد هذا النطاق إلى كل جزئية من جزئيات هذه الـرسالة ومكونـاتها، بما في ذلك البحث في مرسل هذه الـرسالة ومتلقيهـا، في دوافع المرسل وطبيعة عملية التلقي، وأهم من هذا كله فيما دعاه شكلـوفيسكي بمحتوى الأداة. ويموضع ايخنباوم هذا التغيير الأساس في منطلق البحث الأدبي الـذي استحدثه الشكليـون في سياقه التـاريخي والأدبي حينما يرجع التفرقـة الأساسية التي بلـورها ليف يـاكوبينسكي Lev Jakubinski بين اللغتين الأدبية والعملية إلى ضرورة فهم مـا عناه المستقبليـون الروس بتـوجههم صوب لغـة «المستقبليون». لأنـه بدون التمييـز بين هذين النوعين من اللغـة، حيث تنحو اللغة العملية إلى التركيز على الرسالـة التي تبتغي توصيلها بينما يتراجع الهدف العملي التـوصيلي في اللغـة الشعريـة إلى الخلفيـة وإن لم يختف كليـة، وتبرز بدلًا منهـا سمات أخرى تكتسب الخصائص اللغوية الأخرى معهـا قيمة مستقلة، لم يكن ممكناً الكشف عن حقيقة اللغـة العـابـرة للمنطلق والمتجـاوزة للـرسـالـة الابـلاغيـة التي سعـى المستقبليـون إلى تحقيقهـا.

وكان هـذا التمييز بين مختلف اللغات أو الانساق الاشـارية هو الـذي فتح الباب امـام الخطوة المنطقيـة التاليـة، وهي تلك التي انجزها شكلوفيسكي في مقاله الشهير «الفن كأداة» حول تحليل الشكل الفني بعدما استنفد سابقوه عملية تحليل البنية اللغوية في مفرداتها واصواتها وايقاعـاتها وتراكيبها السياقية. ذلك لأن تحليل شكلـوفسكي للشكل الفني اجهـز على المقـولـة النقديـة الشائعـة في عصره والقائلـة ان الشعر تفكير بـالصور. فقد اكدت دراسته التنـاصية ان الشعر يتضمن استعادات كثيرة للصور التي استخـدمها الشعـراء السابقـون اكثر ممـا ينطوي على تفكير بها. وان هذه الاستعادات عادة مـا تكون هي المسؤولة عن ثبـات اغلبيـة الصـور وتـواترهـا، وأن الـذي يميـز الصـور الشعرية عن الصور النثرية انها تتحـدد باعتبارها واحدة من ادوات اللغة الشعرية متساويـة في الدور والأهمية مع غيرها من الأدوات الاخـرى من المجـاز والتـوازي والتجـاور والمقـارنـة والتكرار والتماثل والإغـراق وغيرها من ادوات اللغة الشعـرية. وكان الكشف عن آليـات الاستعادة تلك هـو المقدمـة الضرورية للـوعي بـانتقـال الانسـاق والتحيزات الاجتماعيـة وعـلاقـات التراتب السـائدة في الأطر المرجعيـة إلى العمل الأدبي وثبـاتها النسبي فيه. كما كشـف شكلوفسكي عن استراتيجيـة التغريب او جعل المألوف غريبا Defamiliarization باعتبارها واحدة من ادوات الفن الاساسيـة، وكذلك مـا دعاه بـالصيغ أو الاشكال الاعتراضيـة او المعـوّقـة Impeded Form التي تضـاعـف من صعـوبـة الاستيعـاب او تطيل مـداهـا بحيث تصبـح عمليـة استيعاب الـرسالة أو الاحاطـة بمعانيها ودلالاتها هي غـاية في حد ذاتها، وليست مجرد وسيلة لتحقيق غاية.

إن تحدي شكلوفيسكي الصريح للجماليات الـواقعية يعتمد في جوهره على نفي اطـروحة المحاكاة مهما تجلت هـذه المحاكاة في صور مجسمـة، لأن الفن عنده لا يستهدف محاكـاة الواقع أو الطبيعة، «وإنما على العكس من ذلك، يتغيـا التشويـه للطبيعة من خلال مجموعـة من الأدوات والتقنيـات المتاحة للفنان. وهذا التحريف الخلاق هـو غايـة الفن الحقيقية عنـد شكلوفيسكي» وهو الذي يجعل الفن مغايـرا للواقع باعتباره اداة أو مجموعـة

من الأدوات والتقنيات والاستراتيجيات النصية تستهدف صياغة العمل الفني والاجهاز في الوقت نفسه على الفتنا بالواقع. لأن الفن قد وجد ليعيد للمرء احساسه بالحياة الذي فقده حينما استمرأ الفته بالأشياء واحالت علاقته التكرارية والآلية بها إلى نوع من الآليات المألوفة المائعة والمبهمة معا. «اما الفن فقد وجد ليعيد للمرء احساسه بالحياة، وجد ليجعله يحس بالحياة ويعيد للحجر ماهيته، يجعله حجريا. فغرض الفن اذن هو نقل الاحساس بالاشياء كما تدرك لا كما تعرف. واسلوب الفن هو جعل الاشياء تبدو غير مألوفة، جعل الأشياء صعبة، كي يزيد صعوبة عملية الادراك ويطيلها، لأن هذه العملية جمالية في حد ذاتها، وينبغي ان يعمل على بسطها» .
وهذه الصعوبة المتعمدة هي التي تبرر اهمية الاشكال الاعتراضية أو المعوقة التي تطيل امد عملية الادراك فيستحيل من خلالها الفهم إلى نوع اشمل من الادراك تستعيد فيه الاشياء براءتها وحضورها، أي إلى رؤية . وهذه الرؤية هي التي تبرر الاداة وتكشف عن محتواها المغاير لما اصطلحنا على تسميته «بالمضمون» أو «الموضوع». فدافع الخطاب الفني الاساس هو خلق هذه الرؤية التي تتبلور لا من خلال الموضوع أو المضمون وانما عبر محتوى الشكل ودوافع كل اداة من ادواته المتعددة. فالمفهوم السائد لاستخدام الصورة الفنية أو الشعرية كان يهتم اساسا بدلالاتها أو «مضمونها» بينما يؤكد شكلوفيسكي «ان الصورة لا تمثل مشارا إليه ثابتا يومىء إلى تعقيدات الحياة المتشابكة التي تتكشف من خلالها، فليست غايتها ان تجعلنا ندرك المعنى، ولكن غايتها هي ان تخلق ادراكا خاصا للشىء، الصورة تخلق رؤية للشىء بدلا من ان تكون وسيلة لمعرفته» وهذا البعد الفني للصورة، اي تحويل عملية الفهم الطبيعية للاشياء في تعاملنا اليومي الآلي والمكرر معها إلى «رؤية»، وليس مضمونها الدلالي الذي تكشف عن طبيعتها البلاغية هو جوهر حركية الفن. فالأداة ليست مجرد وسيلة حاملة للدلالة أو معبرة عنها، ولكنها بنية ذات محتوى فني خاص، تتفاوت دلالاته بتغير السياقات الداخلية للعمل، وباختلاف موقعها على خرائطه .

فاللغة الشعرية مثلا تتميز عن اللغة النثرية بقدرة تراكيبها على التجسيد، سواء تحقق هذا التجسيد من خلال ابعادها الصوتية أو التعبيرية أو الدلالية أو الاجتماعية أو من خلالها جميعا. وهذا التجسيد ذاته هو الذي يعوق عملية الفهم التقليدية المألوفة لها ويدخل القارىء في قلب عملية جديدة يعيد فيها اكتشاف ما طمسته في وعيه عملية الفهم تلك فيرى من خلال هذه العملية الجديدة العالم من جديد اي يحوز رؤية له. وحتى يكتشف النقد طبيعة هذه الرؤية او يتعرف إلى آليات توليدها، فإن عليه الا يبحث عنها في الواقع الذي صدر عنه العمل الفني، أو في حياة مبدعه، أو في سياقات عمل هذا المبدع ضمن واقع ثقافي وحضاري معين، وانما في محتوى الأداة فيه اي في بنيته النصية وآليات عملها الداخلية. وقد نقل هذا مركز الثقل في التحليل النقدي فيما بعد من التركيز على المحتوى أو المعنى إلى الاهتمام بمسألة التوليف أو التركيب الذي تتخلق به عناصر هذا التجسيد. وكان ابرز الاكتشافات التي قدمها الشكليون الروس في هذا المضمار هي التفرقة المهمة بين ترتيب السرد أو الحبكة وتتابع القصة أو الحكاية كما وردت في تسلسلها التعاقبي في النص القصصي أو السردي. فقد كشف ادراك تباين السرد في القصة أو الحبكة في الحكاية عن حقيقة هذا الجدل الدائم والدائر في قلب كل عمل فني بين الاثنين. كما فتح الوعي بهذا الجدل الباب امام مجموعة من الاستقصاءات النقدية المهمة حول بناء النص الأدبي تحول معها مفهوم الأدب بالتدريج ليصبح صنوا لمفهوم البناء المستقل القادر من خلال شبكة انساقه وبناه على ادارة جدل خلاق بينه وبين ابنية اخرى لها نفس الدرجة من التعقيد والاستقلالية.

لكن التأكيد على اهمية التحليل النصي للأدب والوعي بالدور الكبير للشكل لا يعني اغفال الشكليين الروس كلية للعوامل غير النصية. فقد اكد شكلوفيسكي نفسه في كتابه «المصنع الثالث The third factory » على ضرورة تجاوز الشكلية المحضة وعلى «ان التغيرات في الفن يمكن ان تحدث نتيجة لعناصر خارجية على العملية الجمالية، سواء اكان ذلك نتيجة لتأثر لغة فنية معينة بلغة اخرى او نتيجة لبزوغ دواع اجتماعية جديدة» إلى الحد الذي دعا فيكتور ايرليتش إلى تسمية شكليته بـ «الشكلية الاجتماعية Socio Formalism» التي تطرح التقاليد الجمالية في مواجهة الايديولوجية الطبقية وهو الامر الذي اختبره في دراسته عن «المادة والاسلوب في

رواية تولستوي الحرب والسلام» التي حلل فيها ملحمة تولستوي باعتبارها تجسيدا للتوتر بين وعي طبقة اجتماعية وادوات جنس فني، بطريقة تأكد فيها ان حركية التفاعل بين الوعي الطبقي والشكل الروائي تنطوي على امكانات اطار مرجعي نقدي اكثر ملاءمة من اعتماد الأدب السببي وذي الاتجاه الواحد على المجتمع» ومفهوم شكلوفيسكي عن التوتر Tension بين الشكل الأدبي والوعي الاجتماعي، الذي فصل بعض جوانبه في كتابه عن «نظرية النثر» عام ١٩٢٩ ، من الاضافات النظرية المهمة التي تنفي عن الشكلانية اتهامات اغفال التعامل مع الواقع الاجتماعي وغيره من الاطر المرجعية التي يصدر عنها النص الأدبي، والتي تخرج بالنقد الأدبي في الوقت نفسه من واحادية الاتجاه التي تنطوي عليها فكرة المحاكاة او الانعكاس إلى جدلية التفاعل والتأثير المتبادل التي أثرت فهمنا للأدب والواقع على السواء. لأن «التوتر» هنا اغنى من الانعكاس او المحاكاة لأنه يفترض بداءة استقلالية عنصريه لا اعتماد احدهما على الاخر.

وقد ظل مفهوم «التوتر» هذا ثاويا في قلب عدد من المحاولات التالية للتنظير للخطاب الروائي. إذ اسس عليه جورج لوكاتش مفهومه عن البطل الاشكالي Problematic Hero وعن السعي العصيب Degraded Search عن قيم اصيلة في عالم يعاني من المهانة . كما جعله جيرار المحرك الأساس في بنية الرغبة المثلثة التي تنهض فاعليتها الحركية على علاقات الاحتذاء في عالم فقد انسانه الايمان بالقيم الكبرى فاستحوذت عليه الرغبة في محاكاة الاخرين، بكل ما تنطوي عليه من توتر مستمر بين الذات والرغبة والوسيط . واقامت عليه مارثا روبرت تصورها للخطاب السردي الذي ينهض على التوتر الذي يمور في متاهات النفس البشرية بين المثالي والواقعي، وبين المتوهم والحقيقي، الذي يعتمد كثيرا على مناهج التحليل النفسي . بل ان هذا «التوتر» ما يزال فاعلا في تصور جولدمان لسوسيولوجيا الرواية خاصة في تناوله لعلاقات النص الروائي الداخلية، وحتى لعملية التناظر المعقدة بين مساراتها ومسارات البنى الاجتماعية المختلفة . والواقع ان السر في اهمية هذا المفهوم النقدي هو اعترافه الضمني باستقلال طرفي العلاقة، اي باستقلالية النص عن الواقع أو غيره من الاطر المرجعية التي يقيم توتره معها. لأن هذا الاستقلال هو الذي يقيم عليه جولدمان مثلا اسس علاقة التناظر بين ما يدور في الواقع من تطورات، وما يعتري النص الروائي من تغيرات موازية لها، ومتحاورة معها، ولكن لها حركيتها الداخلية المتميزة وخصوصيتها الفريدة.

باختين والخيال الحواري وتعدد الأصوات

كان استقلال النص الأدبي المفترض في اعمال الشكليين الروس هو الذي فتح المجال، عند دراسة الرواية خاصة، امام اضافات معاصرهم الكبير ميخائيل باختين واضاءاته المهمة في هذا المجال عن الخيال الحواري والخطاب متعدد الأصوات. لأن مفهوم الاستقلال لديه لا يقتصر على علاقة النص بما هو خارجه، وانما على علاقته بنفسه وتحولاته الداخلية كجنس ادبي له تاريخه المحدد كذلك. لأن باختين يعي «ان دراسة الرواية كجنس ادبي تتسم بصعوبات خاصة، بسبب الطبيعة الفريدة لموضوع الدراسة نفسه، وهو الرواية باعتبارها الجنس الأدبي الوحيد الذي ما زال مستمرا في التطور، وبالتالي لم تكتمل كل ملامحه حتىٰ الآن. فالقوى التي تساهم في صياغة ملامحه كجنس ادبي ما تزال فاعلة امام اعيننا، فميلاد الرواية وتطورها كجنس ادبي متميز تدور في معمعة التحولات التاريخية التي نعيشها. ولذلك فإن الهيكل التجنيسي للرواية لم يتصلب عوده بعد، وليس باستطاعتنا التنبوء بكل احتمالاته التشكلية» .

والواقع ان السيولة التي تتسم بها البنية الروائية هي التي تجعل احتمالات النص السردي التشكلية لانهائية في عددها وصيغها، وهي التي تتطلب منها دراسة تحول الخطاب الروائي باستمرار، للتعرف إلى طبيعة الجدل الذي يجريه مع الواقع، وعلى نوعية الرؤى التي يطرحها حوله. كما ان علاقة هذا النص الحوارية مع الواقع الاجتماعي منذ ميلاد الرواية الحديثة هي التي تعزز التناظر بين تحولات الواقع وتحولات النص السردي، وهي ايضا التي تجعل المعنى الاجمالي للنص الادبي والفاعلية الاجرائية للتقاليد والمواصفات الأدبية مشروطة إلى حد ما بتراكم المعاني المتبلورة في ساحة الجدل الاجتماعي والسياسي برغم استقلاله عنها. فإذا ما سألنا كيف

ترتبط النصوص السردية بـالتقاليد والمواضعات الأدبية ؟ ولماذا يجلب القراء توقعات معينـة الى النصوص السردية ويميلون إلى تفسيرها بطـرق مماثلة ؟ وجـدنا ان الاجابـة هي ان فهم القراء المشترك للمواضعات والتقـاليد هو الذي يـزودهم بإمكان ادراك طبيعة هذه العلاقـات التي تنهض بين النص والقارىء او الواقع الاجتماعي او التاريخ أو المؤلف او الانسـاق التجنيسية او غير ذلك من الاطـر المرجعية والنصية. فـأي فهم أو تعريف للـرواية ينطـوي بـالضرورة «على طـريقـة لتقييمهـا، ويتضمن تـاريخه المفترض لها كجنس ادبي. فإذا ما عـرّفت الرواية بالاحـالة إلى تقنياتها فإن هـذا يفترض رؤيتها باعتبار انها تتجـه في تطورها صوب نوع من الكمال الفني الذي تحقق في القرن العشرين . وإذا ما تصـورت باعتبـارها مستودعـا ممثلا للخبرة الانسـانية فإن هذا التصور ينطوي على تاريخ مختلف للرواية ولمنجزاتها .

ومـا يـزال تصور بـاختين الحركي للـروايـة من انضج هـذه التصـورات برغم مـرور ستين عامـا على بلورتـه له. إذ يـرى ان «الروايـة ليست مجرد جنس ادبي كغيره من الأجنـاس الأدبية. لأنه بين الأجناس الأدبية التي اكتملت منـذ امد بعيد، بل ومات بعضها بالفعل، تعد الروايـة الجنس الأدبي الوحيد الذي ما زال يتطور. انها الجنـس الأدبي الوحيـد الذي ولـد وترعـرع في هذه المرحلة الجديدة من تاريخ العـالم، ولذلك فإنه يقترن بها بعمق، بينما دخلتها الأجنـاس الاخرى كميراث ثبـت واستقر، ويحاول الآن تطويع نفسه لشروط هذا العصر الجديـد بدرجات متفاوتة من النجاح والاخفاق» . هذا التصور الفلسفـي للرواية يفترض حـركيتها وديـنـاميكيتهـا المستمرة، بحيث تستطيع استيعـاب عدد من خصائص الأشكال الأدبية الاخرى، من الشعر والدراما والاقصـوصة، بل واستيعـاب عـدد من الاستراتيجيات الفنيـة التي تنتمي إلى اجنـاس فنيـة اخـرى كتقنيـات الاسترجـاع والتقطيع المستخدمـة في السينما مثلا. بحيث يصبح من الممكن، تصنيف عدد من القصص القصيرة المترابطة، التي يشكل ترتيب الكاتب الحاذق لها داخل المجموعة نـوعا من التعاقب القصدي الذي يـوحي بـرابطة ما بين قصصهـا، او بتكامـل عناصر السرد فيهـا، على انها رواية قصيرة . لأن حـركيـة الروايـة كشكل ادبي تستـوعب مثل هذا التصنيـف، وتقبل هذا التعـاقب الجدلي بين عـدد من القصص القصيرة بـاعتبـاره بنية ذات طبيعـة روائيـة تلعب فيها القصص دور الفصول الروائية المتكاملة. لكن سيولة البنية الروائيـة وتحولها المستمر لا يجعلها جنسا مفتـوحا بلا حـدود، والا لأفقده عدم التحدد طبيعته التجنيسية التي تلعب دورا بـارزا في عملية التلقي والتأويل، وانما هي جنس لـه بعض الخصائص التي تميـزه عن غيره من الأجناس الأدبيـة الاخرى، واهم هذه الخصائص الروائيـة الاساسيةهي تلك التي يجملها باختين في ثلاث سمات اساسية .

فبـاختين يرى «ان هنـاك ثـلاث خصـائص اساسيـة تميـز الروايـة من حيث المبدأ عـن غيرها من الأجنـاس الأدبية : الأول اتسامهـا بالتجسيـد الأسلوبي ذي الأبعـاد الثلاثـة Stylistic three-dimensionality ، وهو امر وثيق الصلة بـالوعي متعدد اللغـات الذي يتحقق في الـروايـة، الثاني التغير الجذري الـذي تحدثـه في التنـاسـق الزمني للصـورة الأدبيـة وتكامـل بنائهـا، الثـالث المنطقـة الجديدة التي فتحتهـا الـروايـة لبناء الصـور الأدبية بناء متكاملا ومتساوقا، وهي منطقة الارتباط الوثيق مع الحاضر في كل تجلياتـه المتعددة والمفتوحة. وخصـائص الرواية الثـلاث تلك تتفـاعل عضـويا فيما بينهـا، وتتأثـر إلى حـد كبير بـالتمزق الـذي انتاب الحضـارة الأوروبيـة في لحظة نهوضهـا التاريخية مـن مجتمع شبه ابوي يعاني من العـزلة الاجتماعية والصمم الثقـافي، ودخـولها إلى مـرحلـة العـلاقـات الـدوليـة والتـداخل اللغوي، حيث اتيح للثقـافـة الأوروبية التعـامل مع عدد متنوع مـن اللغات والثقافات والأزمنة بصـورة اصبح معها هـذا التعدد من العنـاصر الحاسمـة في الحياة والفكـر » . واكثر السمات التي تهمنـا في هذه الـدراسة هي السمـة الثالثـة التي تفتح الخطـاب الـروائي على جـانب مهم مـن جـوانب الحاضر الاجتماعي، على الـواقع في تجليـاتـه المتعـددة وتحولاتـه المستمرة. لأن تأكيد باختين على انفتـاح الحاضر وتعدد تجلياته وربط حوار الـرواية مع حركيتـه بهويتها التجنيسية هـو الذي يقيم دعـائم الخيـال الحواري عنـده على اسـاس من التنـاظـر الجدلي بين النصي والـواقعي. فهـذه السمـة الـروائيـة هي التي تمنح السمة الأولى المتعلقة بالتجسيد الأسلوبي وتعدد اللغات بعدها الأعمق الذي يمكننا من اجـراء حوارها الفعال مع الواقع الحضـاري الذي صـدرت عنه. لأن «الـوعي الثقافي والابـداعي الجديـد يعيش في عالم متعـدد اللغـات بشكل فعال. فقـد اصبح

العالم متعدد اللغات بصورة لا رجعة فيها على الاطلاق. وانتهت مرحلة اللغات القومية التي كانت تتعايش مع بعضها وقد انغلقت على نفسها وصمت اذنيها عن غيرها. فبعد ان اخذت اللغات تلقي بظلالها على بعضها بعض بصورة لم يعد معها باستطاعة اي لغة ان ترى نفسها الا في ضوء لغة اخرى. وحتى التعايش الساذج والعنيد بين اللغات المتعددة داخل اللغة القومية الواحدة انتهى هو الاخر. فليس ثمة تعايش سلمي بين اللهجات الاقليمية واللغات الاجتماعية والمهنية الخاصة والمصطلحات المتخصصة واللغة الأدبية واللغات التجنيسية داخل اللغة الأدبية ولغات المراحل المعينة .. الخ » . وتكتسب مقولة تعددية اللغات والخطابات والرؤى تلك ابعادا اضافية لتلك التي عناها باختين نتيجة للتغيرات التي تنتاب عالمنا، وتجهز فيه على كل محاولات تسييد اللغة الواحدة والرؤية الواحدة والخطاب الأوحد .

فتعدد اللغات بهذا المعنى الباختيني من الأمور التي تجذر علاقة النص الروائي بالواقع الاجتماعي المتحول. وقد اضاف ميخائيل باختين إلى هذا كله بعدا مهما وهو بعد وعي الخطاب الأدبي بطبيعته الحوارية، وهو الوعي الذي سينتقل فيما بعد إلى مجالات كثيرة اخرى. ذلك لأن كل خطاب ادبي عنده «يعي بدرجة من الدرجات التي تتفاوت حدتها ورهافتها نوعية متلقيه وناقده، ويعكس في بنيته بعض الاعتراضات المتوقعة عليه، وبعض التقييمات المحتملة له، ووجهات النظر التي يمكن طرحها في مواجهته. هذا فضلا عن ان الخطاب الادبي يعي ان ثمة خطابات اخرى واساليب ادبية اخرى بجانبه. ومن أبرز العناصر الثاوية فيما يسمى برد الفعل ضد الأساليب الأدبية السابقة، والموجودة في كل اسلوب ادبي جديد، هذا التوتر الداخلي او هذه الاشكالية الضمنية التي تتجلى في تلك النزعة الخفية المضادة للتنميط والأسلبة والمناهضة للخضوع لأي اسلوب مستقر سابق. وهو الأمر الذي يتحد غالبا مع الرغبة المباشرة في المحاكاة التهكمية له » . فمحاكاة شكل ادبي بطريقة تهكمية Parody تنطوي بالقطع على درجة من رفض هذا الشكل وابراز عدم فاعليته او ملاءمته للتجربة، ولفت النظر إلى اهمية الأسلوب الذي يطمح إلى الحلول محله بطريقة مراوغة او غير مباشرة. ويكشف باختين من خلال اضاءته لوعي النص بتلك الأساليب السابقة عليه ورغبته القوية في الانفلات من سطوتها عن تفرد النص الأدبي ونزعته التحررية من كل سيطرة، حتى لو كانت سيطرة التقاليد والمواضعات التي تجعل تلقيه ممكنا، والتي تيسر عملية ابلاغه لرسالته. وهي الخاصية التي تفتح الباب للتعرف إلى حقيقة مفهوم منظري الأدب المحدثين للانسان وللحرية. لأن تحول رفض التنميط والتبعية إلى خصيصة اساسية من خصائص البنية الأدبية ذاتها ينطوي على مصادرة اساسية تفترض انها سمة اساس في كل نشاط جدير بالاستقلالية، ناهيك عن مبدع هذا النشاط نفسه وهو الانسان. وتأسيس علاقة النص بمجتمع النصوص الاخرى على الجدل الحر والندية والحوار الخلاق يفترض ايضا مصادرة اساسية تتوخى تجذير نفس العلاقة بين البشر في المجتمع وبين مختلف ظواهر الواقع وتجلياته ونشاطاته ■

مراجع مختارة

١ - فيكتور شلوفيسكي، الفن باعتباره تكنيكا، ترجمة وتقديم عباس التونسي ومراجعة حسن البنا، (الف : مجلة البلاغة المقارنة)، العدد الثاني، ربيع ١٩٨٢، ص ٧٠ - ٨٩.

2- Victor Erlich, Russian Formalism: History-Doctrine, (New Haven, Yale University Press 1981), P. 76.

3- Goerge Luckacs, The Theory of the Novel, trans A .Bostock, (London, Merlin Press, 1971).

4- Lucien Goldmann, Pour Une Sociologie du roman, (من اجل علم اجتماع للرواية) (Paris, Editions Gallimard, 1964)

5- M.M. Bakhtin, The Dialogic Imagination : Four Essays, trans. Caryl Emerson and Michael Holquist, (Austin, University of Texas Press, 1981), p.3.

6- Wallace Martin, Recent Theories of Narrative, (Ithaca & London, Cornell University Press, 1986).

the Picaresque (Chicago University of Chicago Press, 1981), p. 24.

7- M. Bakhtin, "Discourse Typology in Prose", in Ladislav Matejka and Krystyna Pomorske (eds), Readings in Russian Poetics: Formalist and Structuralist Views, (Cambridge Mass, the MIT Press, 1971), p.29 1.



شعر: د. حسن فتح الباب - مصر

ما الذي يطلق في الظلماء شدو الكروان

فيحيل الأرض شجواً والسماوات دعاء ؟

أتراه جاء من عالم ما قبل الفناء

قمراً من نغم الذكرى وزهراً من حنان

للمحبين الحيارى والعناة الأُسراء ؟

* * *

أم تراه حَنَّة الصفصاف للماء المعين

ورحيق التّوت في الأغصان والظل الظليل

ودعاء الزارع المكدور أن يجني الحصاد

قبل أن يغتاله الجاني ويرعاه الجراد

قبل أن توصد باب السوق أشباح الكساد ؟

* * *

أيّ روح خطرت مثل النسيم

وشدت أشجى أغاني الكروان

يا له من طائف يغشى السكون

أملا من بعد يأسٍ وضنى

فرحاً يشفي مرارات السنين

رأي حول تدريس التاريخ في الجامعة



بقلم: د. غيثان بن علي بن جريس
جامعة الملك سعود - ابها

صاحب التطور الحضاري الحديث تطور مماثل في مفهوم التاريخ واسلوبه ومنهجه، فالتاريخ يحتل مكانة مرموقة في عصر يتميز بتقدم العلوم، ولقد بذل المؤرخون جهدا شاقا في نقل التاريخ من مفهومه القديم المتمثل في الخطابات والأساطير إلى مفهومه الحديث المتمثل في دراسة التجربة الانسانية بمعناها الشامل، والبحث عن اسبابها الحقيقية في ثنايا التطور الحضاري للانسان، والتاريخ لم يعد مملوكا للشعوب الحضارية القديمة في الشرق الأدنى القديم والصين والهند، وإنما دخلت فيه جميع الشعوب واستعان منهجه بالعديد من العلوم، كما اتسعت مجالات دراسته وبحثه فأخذ من الشعوب والبيئة معا .

وقبل الاستطراد في حديثنا، حول التاريخ وكيفية تدريسه، رأينا طرح ثلاث نقاط، وبالاجابة عليها قد نخلص إلى بعض الآراء والحلول حول تدريس التاريخ، وهذه النقاط المقترحة نوردها في صيغة اسئلة، الأول: ما هي اهداف تدريس التاريخ؟ الثاني: ما هي الاتجاهات المعاصرة في تدريس التاريخ؟ الثالث: كيف ندرس التاريخ في جامعاتنا؟

أهداف تدريس التاريخ :

لم تهتم أغلب جامعاتنا العربية والاسلامية اهتماما كبيرا بتحديد اهداف تدريس التاريخ بها، ولذلك بقي تركيزها على الجانب المعرفي وحده دون الجوانب الاخرى، وهذا لا يحقق الفائدة من دراسته، ويمكن ايجاز اهم اهداف تدريس التاريخ في الجامعة فيما يلي:

* تزويد الدارسين بالحقائق والمعلومات والنظريات والقوانين التاريخية بصورة تحقق اهداف التاريخ .

* تدريب الدارسين على الأسلوب العلمي في دراسة التاريخ واجراء البحوث المتصلة به، خاصة ان الدارسين في الجامعات يكونون اكثر نضجا، ويترتب على ذلك ازدياد قدرتهم على الفهم والاستيعاب والتحليل وادراك العلاقات والربط

واستنباط النتائج والقدرة على الانتفاع بدراسة الظواهر التاريخية دراسة تساعدهم على تفهم حاضرهم والتخطيط لمستقبلهم والاستفادة من خبرات الأجيال السابقة .

* ترسيخ وغرس القيم الروحية والمفاهيم الدينية والاخلاقية والسياسية التي يحتاج إليها الطالب في اثناء دراسته .

* يشارك المواطن الصالح الفاعل في مجتمعه بالرأي والفكر السديد، وبتكوين رؤية تاريخية عند الطلاب ، مستمدة من استقراء التجارب والخبرات والمواعظ والعبر، فيستطيع الطالب انطلاقا من هذه الرؤية التاريخية ان يحلل، وان يربط الأحداث، ويستطيع بذلك ان يكون له موقف ورؤية لما يحدث من حوله سواء كان في المجتمع، فيساعد ذلك على حل مشاكله، أو في المجتمعات من حوله، فيستطيع من خلال سير الأحداث واتجاهاتها ان يكون ملما بما حدث ويحدث من حوله . ولا يتأتي ذلك الا من خلال تزويد الطالب بالمهارات والقدرات والخبرات والمنهج العلمي. ان رقي المجتمع وتقدمه رهن بنجاحنا في غرس صفات الخلق والابتكار والتحليل والمبادرة، والاعتماد على النفس، فالعقلية العملية تتغلب على المشاكل وتقهر الصعوبات، وتبني المجتمع بناءً سليماً، وتختصر الزمن فتقطع المسافات بأقل قدر من الجهد والوقت وبذلك تنفك من اسر التخلف وتلحق بركاب الدول المتقدمة .

* مد الشباب بالزاد المعرفي ، والقدرة على الوقوف امام التفسيرات الخاطئة والمضللة التي تحاول ان تشكك ابناء الأمة في ذاتهم وماضيهم الحضاري .

* ترسيخ وعي الطلاب بقضايا الوطن والعروبة والاسلام .

الاتجاهات المعاصرة في تدريس التاريخ

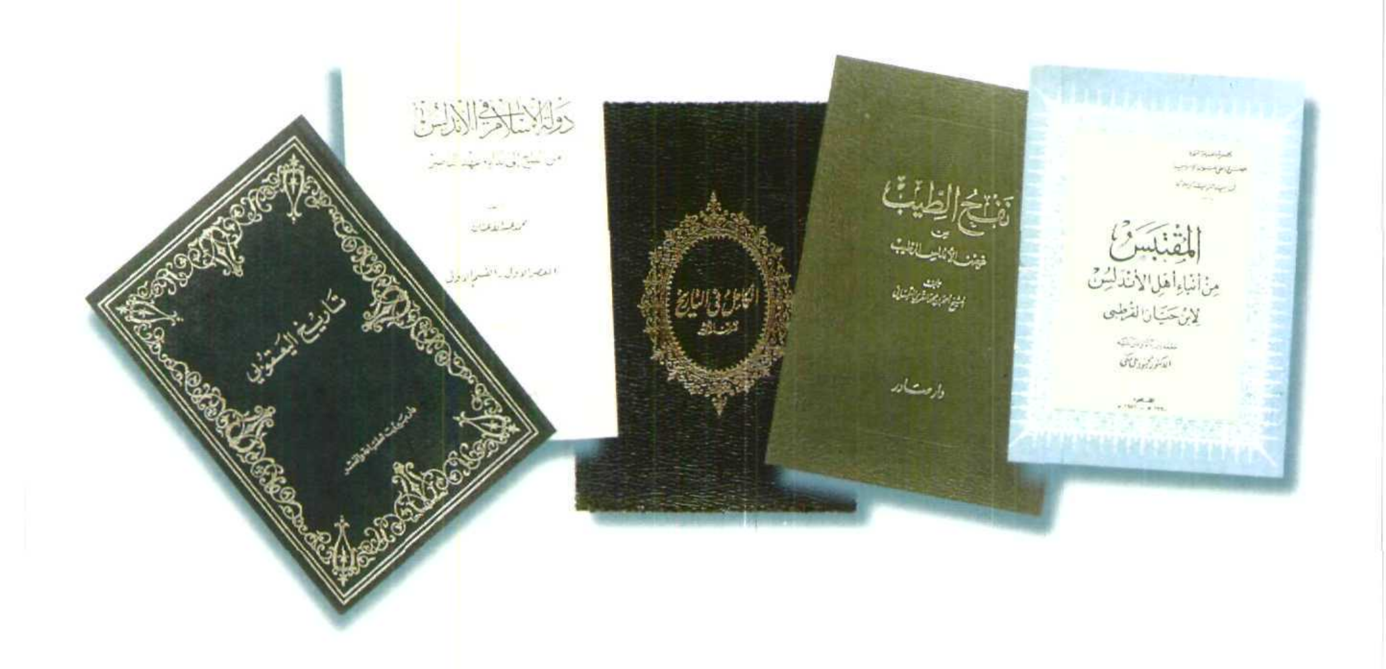
يمكن ايجاز اهم تلك الاتجاهات فيما يلي :

* مسايرة التطور في مفهوم التاريخ، فقد تطور مفهوم التاريخ من تاريخ الافراد والقادة والبطولات إلى تاريخ الشعوب والأمم والظواهر الاجتماعية المهمة، وهذه القضية يطول شرحها، الحقيقة ان الأكثر شيوعا ومما درسناه وندرسه ان التاريخ مرتبط بالشخصيات السياسية والقادة والعسكريين، وهذا مفهوم يجب علينا ان نتجاوزه لنصل إلى اننا لا ننكر دور الفرد واثره في التاريخ، لكننا نقول ان الفرد أو البطل من صنع مجتمعه وانه نتيجة حتمية للقوى الفاعلة في المجتمع وظهوره يأتي استجابة لحاجات اجتماعية، سواء كانت دينية أو سياسية أو اقتصادية أو عسكرية، اذن يجب دراسة القوى الاجتماعية والتحديات التي واجهتها الأمة فانبثق عنها ظهور البطل وفعاليته ومجالات تأثيره. والخلاصة يجب ان يدرس التاريخ على اساس الفلسفة او الرؤية الحديثة التي تسلم بأهمية الشعوب التي تنسب إليها احداث التاريخ، فالشعوب هي التي صنعت التاريخ وتصنعه، فالزعيم او الفرد أو البطل أو القائد، ليس الا ظاهرة اجتماعية فلا خير في زعيم ولا امل في نجاحه الا إذا كان ممثلا للأمة، بل ومعبرا عن ارادة شعبه .

* توسيع مجال دراسة التاريخ بحيث لا تقتصر على التاريخ السياسي فقط، بل ليشمل جميع النواحي الخاصة بالمجتمع والعوامل المؤثرة فيه ثقافية كانت أو اجتماعية او اقتصادية أو روحية إلى غير ذلك . فالتاريخ ينقل الوقائع والأحداث والحروب معتمدا على الأسلوب العلمي في تحديد المشكلات واستقراء الأحداث والظواهر ، والتحليل ومناقشة الظروف والملابسات التي ادت إلى نشوء الأحداث المختلفة .

* توكيد علاقة التاريخ بالبيئة ، وذلك لكي تكون دراسة التاريخ اكثر جدوى لأنها ينبغي ان تعطي اهتماما مركزا لدراسة الظواهر التاريخية في البيئة المحلية التي يعيش فيها الدارس، ثم تتسع الدراسة انطلاقا من تاريخ البيئة المحلية إلى دوائر اوسع ممثلة في بلداننا العربية بالبيئة العربية والاسلامية ثم العالمية فتتضح العلاقات وتتقوى الصلات وتتحقق اهداف دراسة التاريخ .

* ارتباط دراسة التاريخ بغيرها من الدراسات ، ولهذا فدراسة التاريخ قديما كانت تسير في طريق تخصص ضيق يفصل بين التاريخ والعوامل المؤثرة فيه، وهذا لم يكن امرا طبيعيا ولا مقبولا فتاريخ الانسان لا ينفصل عن ظواهر البيئة وامكاناتها، ولا عن جهود العلماء للانتفاع



بهذه البيئة، ولاعن التقدم العلمي او الاقتصادي او الاجتماعي، وقد ادى كل ذلك إلى توثيق الصلة بين دراسة التاريخ وغيره من الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها. ومما يلاحظ ان التخصص في التاريخ قد فهم عند بعض الدارسين خطأ بأنه التعمق في دراسة مجال معين قديم او وسيط او حديث، دون توافر الخلفية التاريخية والثقافية اللازمة لوضع هذا المجال أو التخصص المعين في اطاره العلمي السليم وادراك علاقاته بغيره من الدراسات والموضوعات التي يتضمنها التاريخ في تكامل وثيق. ويمكن القول عن العملية التربوية الآن بأنها علم وصناعة تزويد الجيل الصاعد بالقدرات والمهارات التي تمكنه من تطوير الجماعة إلى مستوى أعلى وحياة افضل، والتاريخ بمفهومه الحديث هو من اقوى وسائل التربية الحديثة في تحقيق وظيفتها لتحقيق حركة الجماعة نحو ما هو افضل. ويجب أن نضع في الاعتبار دائما وابدا ان الحياة العملية والعلمية دائمة التغيير عصرا بعد عصر، ولابد ان يعطي التعليم قيما لتلك الحياة، فكلما تطورت، تطور بمقدار ما تطورت، وان لم نفعل ذلك نشأت فجوة بين أوضاع الحياة الواقعية أو المعاشية من جهة والشباب المتعلم من جهة اخرى، وبالتالي سيعيش حينئذ واقعا متخلفا تجاوزته الأحداث فلا يستطيع التكيف معها، ولا تستطيع المجتمعات الافادة من علمه الذي سيتحول إلى قيمة سلبية لا تتفاعل مع الواقع .

تدريس التاريخ في جامعاتنا

ان التدريس فن قائم بذاته، مكوناته الموهبة والرغبة إلى جانب المادة، ولهذا نختلف كلنا في طريقة تدريسنا للطلاب. والحقيقة أننا ندرس التاريخ لطلابنا لكن كيف ؟ هل سألنا أنفسنا هذا السؤال ، واعتقد انه سؤال مهم لأن مناهجنا مختلفة ووجهات نظرنا مختلفة ايضا، ولكن يجب الاتفاق على الحد الأدنى في منهجية تدريس التاريخ، وماهية التاريخ الذي ندرسه، ثم بعد ذلك الاتفاق على الحد الأدنى للمنهج أو الطريقة التي ندرس بها، والكثير من المشتغلين في تدريس التاريخ من ينهج المنهج السردي، ويقضي جل محاضرته أو محاضراته يتحدث عن معركة كذا أو قائد كذا، أو مؤامرة كذا، وبالتالي يحشو ادمغة الطلاب أو الدارسين بكلام عندما نمعن النظر فيه ونقيمه لا نخرج نحن ولا الطلاب بثمرة تذكر، اذن ما الفائدة من تدريس التاريخ، هذه الطريقة تنفر الطلاب من دراسة التاريخ باعتباره قصصا، وللأسف هذا هو مفهوم التاريخ عند كثير من الطلاب، وان عملنا بهذه الطريقة بقصد أو بغير قصد نحن نرسخ هذا المفهوم، فيجب تحديد الهدف العام والهدف الخاص لكل محاضرة

من المحاضرات قبل البدء فيها، وهل نريد ان نرسخ قيما معينة ومعلومات تاريخية معينة، وهل هذا يتم عن طريق السرد؟ فنقول حدث كذا في عام كذا، هذا ليس المطلوب، الذي يعطي التاريخ قيمته وثقله ووزنه وابعاده ومعانيه، تحليل الحدث وتعليل الظروف والملابسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية التي حدثت الأحداث في اطارها هو الذي يعطي للحدث معنى وجوهراً.

وبهذا فالتركيز على تدريس التاريخ لا يكون للحدث التاريخي وحده، وانما الظروف التي صاغت الحدث. وهي التي تجعل الحدث مفهوما وتجعل له معنى، لأن الحدث نفسه مجرد زمان ومكان والزمان قد يكون ازمنة والمكان امكنة، وصنع القرارات واتخاذها قد تتعدد اماكنها وازمنتها بل وظروف اتخاذها، فلابد من دراسة كل ذلك وربط بعضه حتى تخرج الصورة متكاملة، والانسان هو صانع الأحداث ودراسة الجوانب المختلفة في هذا الانسان قد تلقي الضوء على ظروف الحدث وعلينا كأساتذة ان نقود الطلاب دائما إلى طرح السؤال لماذا وكيف؟ ونستنفر هممهم وطاقاتهم وجهدهم للاجابة على لماذا وكيف، وبهذا نكون اتبعنا المدرسة التحليلية وهي بدون منافس الخيار الأول والأفضل في تدريس التاريخ. فمشكلة تدريس التاريخ ليست مسألة كم وانما هي مسألة كيف، ولهذا فعلاج المشكلة ليس القيام بزيادة عدد المحاضرات أو عدد المقررات، ولا بتجديد المقررات باضافة موضوعات جديدة، وإنما العلاج يجب أن يكون كيفيا اي متعلقا بالكيفية التي نعالج بها نحن المقررات، وكيف نشغل الوقت المخصص للمحاضرة أو المادة معا. والواجب ان تدرس الموضوعات التاريخية على اساس النظر إلى الحاضر بمقوماته ودروب تجديده للحياة على ضوء العلم التاريخي الذي يفسر الحاضر بالماضي عن طريق المقابلة والربط والنقد وتفسير الحوادث والوصول من كل هذا إلى رؤية جديدة تعلم الطلاب بعض الحكمة، وبعض المواقف في أمر يخص مجتمعهم واتجاهاته وطرق رفع مستواه. ومعنى هذا ان التاريخ ليس درسا في الوطنية السلبية التي تقوم على الاعجاب بالماضي، والفخر بصنع السلف، ولكنه درس في الوطنية الايجابية، لا التغني بالامجاد لنقف متحسرين على ضياع تلك الامجاد، بل يجب ان نعلم طلابنا لماذا وكيف حقق الأجداد تلك الأمجاد الماضية، وما هي الأسباب التي جعلتها تاريخا مشرقا، ثم ماذا يجب علينا ان نعمل كي نصل إلى ما وصلوا إليه بل وكيف نتفوق، ونتجنب اخطاءهم.

والقول الصحيح ان التاريخ درس في الوطنية الايجابية التي تقوم على فهم الحاضر والمشاركة في خصائصه عن طريق المعرفة والاسهام في تطويره ورقيه، بل ودراسة تكسب القدرة على مواجهة المواقف الجديدة، كالأثر الذي يحدث من تعلم مسألة حسابية، فالمسألة التي يحلها الطالب لا تتكرر لكن القدرة المستفادة من حلها يمكن استخدامها في حل مسائل جديدة تصادفه في الحياة. ويجب أن نكون مربين في تدريسنا للتاريخ، وان لايكون هم الواحد منا ملء فراغ في معلوماتنا التاريخية بوثيقة أو معلومة معينة مثلا، ولكن المربي والمؤرخ معا يكون هدفه ايضاح حقيقة تاريخية غير معروفة، او تصحيح حقيقة تاريخية خاطئة، إلى جانب وضع قصة تشتمل على تركيب تصوري لعناصر الموضوع الذي يراد تدريسه، على ان تكون تلك القصة علمية في جوهرها، فنية في التعبير عنها، ويجب على المؤرخ اعطاء المعلومات التاريخية، وان لا يغفل عن الجانب الاخلاقي، وزرع القيم والمثل الحميدة، ونبذ الاتكالية، والتدريب على الاعتماد على النفس، وتكوين الشخصية المستقلة، وتشجيع المبادأة والنقاش، كما يجب عليه ان يعمل على هدم المفاهيم التربوية الخاطئة والسلبية التي ترسبت في الأذهان من مراحل سابقة، بل ويسعى إلى استبدالها بقيم ومفاهيم تربوية جديدة تعطي الطالب قدرا كبيرا من المشاركة التي تنمي شخصيته المستقلة، بل ويساعده ويعاونه كي يتعلم على مواجهة المشكلات وايجاد الحلول لها، بل ويحسسه الشعور بالمسؤولية، كما يجب على اساتذة التاريخ، ان يحرصوا على تقديم الزاد المعرفي إلى طلابهم إلى جانب الادراك بأن التعليم في جوهره ليس الحصول على الشهادات الجامعية، أو الدرجات العليا فقط، بل هو عملية اعداد الفرد اعدادا يمكنه من النمو والتفاعل مع المجتمع فيفيد ويستفيد، وبقدر ما يكون نمو الأفراد صالحا وسويا يكون تقدم المجتمع وازدهاره ■



بقلم : د. زيان أحمد الحاج ابراهيم - جامعة البحرين

*** هجد ، تهجّد**

تقول : هجدت هجودا ، إذا نمت .

وتهجدت : إذا سهرت، فأفادت الزيادة معنى السلب ، اي إزالة الهجود، وهو النوم . قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (الاسراء / ٧٩) . فهما كانا من اصل واحد ، إلا أنهما متضادان في المعنى .

*** فلس**

نسمع بعض الناس ينطق هذا اللفظ بكسر الفاء ، يقصدون الفلس المعروف، والصواب فتح اوله، لأنه بالكسر صنم كانت تعظمه بعض العرب في الجاهلية. وأفلس الرجل : صار ذا فلوس، لقولك : أثمر الشجر، وأتمر الرجل، اي صار ذا ثمر وتمر. فالهمزة هنا أفادت صيرورة شيء ذا شيء. وأفلس الرجل أيضا : صار في حال لم يبق له مال، وليس معه فيها فلوس، لأن الهمزة أيضا تفيد السلب، كقولك: أعجمت الكتاب، أي أزلت عجمته بنقطه .

*** لن أكلمه قط**

يشيع استعمال هذا التعبير خطأ ، لأن قط ظرف لما مضى من الزمان، ويكون الكلام معه منفيا، و «لن» حرف لنفي المستقبل، فبينهما تناقض في المعنى، والصواب ان يقال: ما كلمته قط، أو ، لن أكلمه أبدا .

*** يعمر ، معمر**

نسمع كثيرا من يقول : عَمَّرَ فلان طويلا ، بفتح الأول والثاني وهذا الاستعمال خطأ، لأن الله سبحانه هو الذي يُعَمِّر الخلق ويتصرف في أعمارهم ويقدرها، فالصواب ان يقال : عُمِّرَ فلان طويلا، بضم العين وكسر الميم المشددة، قال تعالى: ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ (البقرة / ٩٦). وقال : ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ ﴾ (فاطر / ١١) .

*** صلّح**

يتردد بين أوساط هيئات التعليم، خطأ، قول بعضهم : صلحت أوراق الامتحان. والصواب أن يقال : صححت . وتقول : صححه الله تصحيحا، فهو صحيح. وأصلح تستعمل للسعي في الخير بين الطرفين المتنازعين. قال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾ (الحجرات / ٩) .

وقال أيضا : ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ ﴾ (النساء / ١٢٨) .

*** فعلت ذلك لصالحه**

يستعمل هذا التعبير خطأ، والصواب فعلته لمصلحته ، اي لمنفعته ، اما الصالح فهو النافع ضد الفاسد . والمصلحة هي واحدة المصالح، وهي ما فيه الخير والمنفعة والصلاح، وضدها المفسدة .

*** عقار**

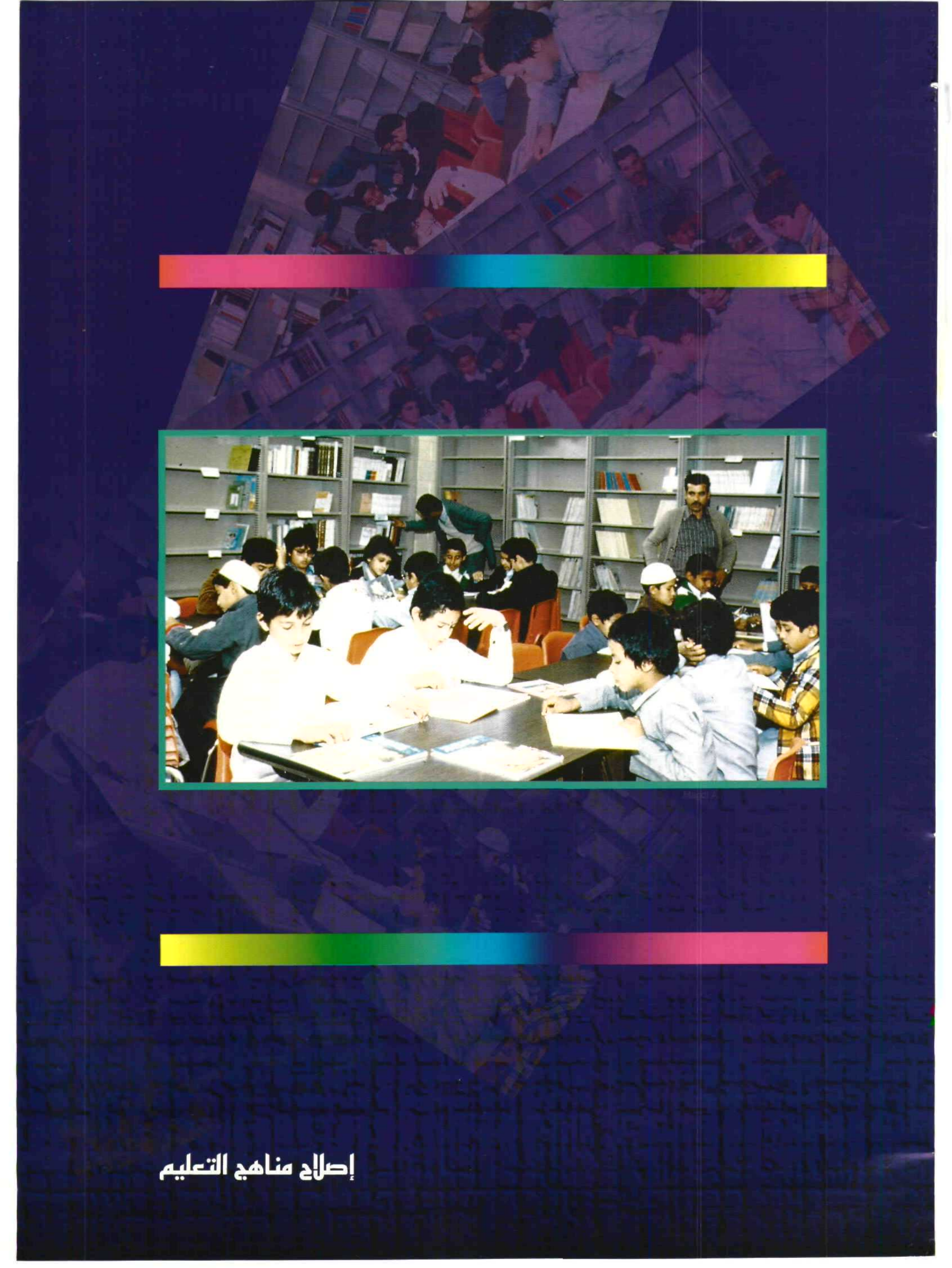
يرد هذا اللفظ بتشديد القاف وتخفيفها .

فهو بالتشديد ما يتداوى به من النبات والشجر وغيرهما، وجمعه عقاقير. قال الشاعر :

الشعر شيء حسن ... ليس به من حرج

فعلموا أولادكم ... عقّار طب المهج

اما بتخفيف القاف فهو الممتلكات والأشياء الثابتة كالمنازل والأراضي والبساتين والعمارات. وجمعه عقارات.


إصلاح مناهج التعليم


الطحالب البحرية .. فوائد لا تحصى